أبواب
أنورهاني

أبواب/ رواية

أنور هاني

الطبعة الأولى ، ٢٠١١

OKTOB NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١٠ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

عبدالرحمن خافظ

تدقيق لغوي :

محمد علي

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢٤٥٣٦

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٤٨٨-١٠٣-٩

أبـــــواب

أنور هاني

رواية

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع



الأبواب هي مهربنا الوحيد والدّائم من كلّ شـــيءٍ وأيّ شيء، نخفي وراءها كلّ ما سنحتاج إليه فيما بعد أو نخـــزّن أشياءنا الثمينة وراءها ،أو تختفي خلفها أشـــياء نحتاجهـــا و يضنينا البحث عنها ولا نجدها، أو.. نخبئ ونخفي خلفها أشياء نتناساها؛ و نحن المفتاح لكلّ الأبواب فهـــي أبوابنـــا نحـــن. النّافذة علينا وعلى العالم، نفتح منها ما نحتاجه ؛لنطلّ علـــى العالم به ،ونغلق ما يستطيع أن يطلّ العالم منها علينا.



أحداث

إنَّه الأوَّل من "يناير" حيث إنَّها قد تخطت الثانية عشر بساعتين على الأقل، تلك السّيّارة الحمراء تنهب الطريق نهبًا بها هذان الشابّان العائدان من "القاهرة" محتفلين مع أصدقائهم، وفي طريق عودتهم إلى "الإسكندرية".

ثمَّ فجأة وبدون سابق إنذار ظهر هذا الكائن من وسط اللاشيء،من وسْط الظّلمة القاسية، عيناه تلمعان من ضوء مصابيح السيّارة؛ السّائق بدأ يفقد السّيطرة على المقود، إنَّه ينحرف يمينًا و يسارًا بالسيّارة لقد أصبحت بلا سيطرة والاثنان بداخلها كأنّهما كرات اليانصيب يتأرجحان في صندوق السّحب، انحرفت السيّارة عن مسارها وانقلبت... تستقرّ الآن مقلوبة في الملاحات بداخلها شابّان كانت تغمرهما الفرحة منذ ساعاتٍ بل منذ دقائق الآن تغمرهما المياه.!

ينظر ذلك الكائن في استغرابٍ بريء لهذا المشهد ،وهرع من هذا المكان مذعورًا.

***

رأسي يؤلمني! ما هذا الصّداع؟ ما هذا المكان؟

***

الشمس ساطعة في ذلك اليوم من أيّام شهر "أغسطس" الحارّ - جدًا هذه الأيّام! - تشرق الدُّنيا و تظهرها كما هي بدون تغيير أو اختلاف أو نفاق، إنّها كالحقيقة العارية تلك المدينة الخلّابة في ذلك الصّباح، تتلألأ حبّات الماء الهادئ الصّافي - الذي لا يخلو من موجة أو اثنتين تنعش هؤلاء السّابحين - من آشعة الشمس الدّافئة كأنّها ضحكات جميلة ساكنة منبعثة من هذا البحر الهادئ الرّاضي بذلك اليوم الجميل.

أستقبل هذا النّور عند فتحي الشّرفة كلّ صباح ،فتؤذي عيني تلك الآشعة البرّاقة الوهّاجة ،وتنبئني بأنّه عليّ أن أصحو، أحاول - في كلّ مرة - أن أغلق بوّابة الضّوء تلك وأذهب لأكمل نومي،ولكن أجدني ألبّي نداء هذا البحر المتلألئ ،وأفتح روحي لأستقبل نسيمه العليل، أشاهد - بفرحة صبي وجد "الحلوى" - هؤلاء الذين يستمتعون بالمياه التي تطفئ حرارة أجسادهم و تنعشهم؛وهذه الحافلات و السيّارات كأنّي أشاهد فيلمًا من أفلام "ستيفن سبيلبرج" التي ينظر فيها الفضائيون للأرض،وينبهرون هم و مشاهدي هذه الأفلام بتلك المناظر من حياة البشر. و لا أدع لعيني أو روحي أن تتأذّى من التلوّث أو الغبار،أو المناظر الغريبة التي سأراها في بقيّة اليوم؛لذا دعني أستمتع بذلك المشهد المثالي قبل أن أصطدم بكاميرا الحياة اليومية.

أنا "شريف". "شريف رمزي" أحبُّ أن أقولها على طريقة "جيمس بوند" الشهيرة تلك. أجلس في الشّرفة ،ومعي كوب الشّاي الصباحي،وإفطاري اللذان أعددهما في فترة استراحة السّينما؛لأكمل بقيّة الفيلم السّعيد فيلم الصباح الجديد من شرفتي ،ومعي بعض الصّحف والمجلّات.

الثامنة و النّصف موعد انتهاء الفيلم الجميل العذري ،وبدء الفيلم الآخر "فيلم الحياة"! آخذ سيارتي،وأتّجه إلى عملي في شركة "التّصميم و الدّعاية و الإعلان" التي هي من أكبر الشّركات في هذا المجال "سكندريا" – إن صح هذا التعبير – و لها باعٌ ليس بالضّئيل "قاهريًا".

• • • •

مر ستة و ثلاثون شهرًا الآن منذ حادثة السيّارة التي وقعت لي ،وراح إثرها صديقي العزيز في بداية العام؛ نعم إنّه الأوَّل من يناير اليوم؛ لذا أنا متردّد ،وأنا أقود سيّارتي ،وترددي زائد لأنّني ذاهب للقاهرة، لا أريد أن أعبر بجانب مكان الحادث مرّة أخرى و خصيصا اليوم!رغم سعادتي بنجاتي من تلك الحادثة إلا أنّني أتذكّر صديقي ،وهذا ما يجعلني غير راضٍ عن نجاتي بدونه! رغم ذلك ... " اقفل هذا النّور العالي يا حمارًا!" قاطعني ذلك الصّوت الأجشّ الذي تعرف أنّه مازال يصارع النوم؛ليبقى منتبهًا (صاحيا)، أغلقه وأعتذر له عن طريق سبّة

من خلال "كلاكس" السيارة ،وأنطلق قبل أن يفعل ما يجول بخاطره؛ كم نحن مبدعون! نعم مبدعون في السّباب،كلام بدون أفعال.نتفنّن في فنّ الهروب بدون التّفاعل ،والسّباب أحد تلك المهارات المطلوبة لهذا الفن حتى أن ال"كلاكس" لم يسلم منّا؛ لكنّي استخدمه؛لأنّي مشفق عليه ،ولأنّه لا يدري ماذا يمكن أن يحدث له إن أثار غضبي في هذا اليوم والتوقيت العصيبين عليَّ.!

***

رأسي يؤلمني!ما هذا الصداع؟ ما هذا المكان؟..أفتح عيناي؛ لأرى هذا الضّوء ،وهذا الوهج ،وكأنّه النّور في نهاية النفق.. تت تت تت .. الضوء يتوهّج ،ثمّ يختفي كلّ شيء!!

ما هذا المكان؟ أين أنا؟ أرى أنّني في مكان ـــخيرًا اللهمَّ اجعله خيرًاـــ أبيض في أبيض، هناك ألم –تشويش– في رأسي وهذا الأدقّ ؛لذا دعني من الطّرافة – أو السّماجة – التي تهبط عليَّ في أغرب الأوقات! هناك أناس ثرثارون للغاية في هذه الغرفة أستأذنهم بأن يسكتوا ،ولكنّهم لا يفعلون، ثرثارون للغاية أو يعاندونني لأقصى درجة؛ صرخاتي خافتة .رأسي تتألّم من هذه الأصوات الواضحة بشكلٍ عجيب في حالتي تلك! "اخرسوا!!"تفجّرت الكلمة من فمي كأنّه مدفع "هاون"* أطلق قذيفته المنسيّة منذ أعوام ؛لتكشف عن قوّتها التي لا تنضب. أنظر حولي لأجده الخلاء، تدخل ممرضتان مذعورتان تتحدّثان

* مدفع هاون: قطعة مدفعية صغيرة ذات عيار قوي للضرب العمودي تم اختراعه عام ١٩١٧.

عن الجهاز الذي يُصدر الصوت المزعج بجانبي الذي تراه وتسمعه في جميع الأفلام و المسلسلات. تذهب واحدة منهما مسرعة لسببٍ ما و ...

و لكنّي أرى حديقة! مترامي بها في كلّ مكان بيوتٌ طينية، أدخل أحدهم ؛لأجد تلك الممرّضة في مدرستها ترمق هذا المدرّس الشاب المتعرّق بتلك النظرة الحانية الحالمة... ما هذا؟ أأجن الآن،أم ماذا؟!! خرجت من هذا المترل الطيني ؛لأجدها أمامي تتفحّص جهاز رسم القلب الذي بدأت أتبيّن أناته وتخطيط القلب. يدخل طبيب مع الممرّضة التي خرجت مسرعة يتفحّصني ،ويتعجّب ،ويمصمص شفتيه ؛ليزداد تعجّبًا ثم يغمغم بكلام لا أفهمه ،ويقول لي:"أنت بطل، ربنا كبير و يسترها مع عباده"،ففاجأته بسؤالي قبل أن يسترسل في الحديث. "رامي.. أين رامي؟؟"،وقبل أن ينطق بحرف فهمت،شعرت، نعم شعرت بتلك المآسي و الصّراع العاطفي؛ قبل أن ينطقها كانت عيناي اغرورتا بالدّموع ،وأومأت له رأسي بأن يصمت ؛لأنّني قد عرفت أنّني فقدت واحدًا من أعزّ أصدقائي - الذين هم ليسوا كثرًا- فقدته بسبب كائنٍ ظهر واختفى،ظهر لإتعاسنا وإرهابنا ،واختفى و معه "رامي".!

رغم حزني وألمي وأهلي ،والثرثارون الذين لا أعرف من هم حتى الآن؟ والطبيب الذي يتحدث إلى والداي، أنظر إلى تلك

الممرّضة الرّيفية ،وهو الواضح من ملامحها وهناك أيضا تلك البيوت الطينية، لكن لحظة واحدة من أين جاءت تلك البيوت وهذه الحديقة - أو المزرعة ،أو الحقل أيّا كان! - وهي في مراهقتها؟؟من أين أتت؟!وأين اختفت؟!أأهلوس لهذه الدرجة؟! أم أنّها آثار الحادث و هذا التشوّش في رأسي ،والألم المزدوج؟ الظّلام الذي يتكاثف تدريجيًا ،وينقضُّ عليك ويصرعك.. النوم..

صحوت في اليوم التالي؛لأجد والداي حولي أشرقت بسماتهم، ووجوههم وجهي النّاعس حتّى أعتقد أنّه خلا من أيّ نعاسٍ أو كدمات ،ولأوّل مرّة أحسست بحبّهم الحقيقي؛ فرحة وسعادة ودهشة أشعر بهم من خلالهم. أمّي تشكر ربها على سلامة ابنها الوحيد وأبي ينظر لي في ثبات بحنان أستشعره جليًا هناك أصدقائي يقفون خلف الباب، نعم ثلاثتهمً حيث أنّ رابعهم يرقد في سلامٍ في مدافن عائلته "بالشّاطبي".يدخل الثلاثة ،وتبدأ لحظات الفرحِ والدّهشة، وتبدأ الثرثرة، الثّرثرة التي أحتاجها الآن أكثر من أيِّ وقتٍ مضى نحكي أيَّ شيء، وكل شيء؛ دخل الطّبيب للاطمئنانً عليَّ أثناء ذلك،وأبلغني أنّي مغادر المستشفى اليوم،حيث إنّني معافٌ تمامًا، وليس هناك داعٍ لبقائي- إلا لو أردت لأهلي أن ينفقوا الأموال حبّا في المستشفى!؛ مزحة اقتبسها من كثرة مشاهدته للمسلسلات العربية _هذا أكيد - وقال للجميع:" إنّه مسموح لهم بالبقاء ما

يشاؤون إلى أن أستطيع المغادرة". صراحة لم أطق الذّهاب الآن ،فجلست وتحدّثنا جميعًا بعضنا البعض أنا وأصدقائي ووالديّ ، حتّى أتت السّابعة مساءًا ،فلم يكن هناك سوى والدي ووالدتي يشربون أكواب الشّاي - فنحن عائلة لا تعترف بالقدح أو الأكواب الصّغيرة - ويتكلمون حينا مع "نادر" الصّديق الوحيد الباقي.فجلست على حافّة السّرير،وقلت بالعربية الفصحى:"هيّا بنا يا رفاق".استعددت وارتديت ملابسي،وأمسك نادر بالحقيبة التي جاء بها أهلي؛ لا لم أكن كهؤلاء الذين تشاهدونهم "أخرج من المستشفى على كرسي مدولب ،وعندما تأتي العربة أقف بكامل الصّحة،أو أتّكئ على كتف أحد الأصدقاء ونخرج".

كنت في منتهى النّشاط أذهب و أجيء، وقبل أن أنصرف ذهبت لأرى وجهي في المرآة ،وأنا أمشّط شعري،فتعجّبت كيف توفى واحد،والآخر يقف هنا بكامل الصّحة وكدمة بسيطة تحت العين اليمنى؟؟! حكمتك يا رب.

قبل مغادرتي ذهبت إلى الممرّضة الرّيفية التي رأيتها في مراهقتها عندما دخلت من باب البيت الطّيني؛ إنّها مليحة لا شك في ذلك ،لكن دعني من هذا.أنا قادم إليكِ يا فتاة ؛لأسألك سؤالًا بسيطًا. شكرتها لعنايتها بي؛لأكسر غرابة قولي القادم ،ولم تكن ترفع عينيها ناحيتي فقط تبتسم في حياء، فباغتّها بسؤالي :"عندك وحمة تحت عنقك؟"... هنا فقط رأيت

عينيها البنيتين - لأوّل مرة - تحدّقان بي في دهشةٍ و اشمئزاز وتعجّب، هنا فقط عرفت الإجابة من عينيها قبل أن تضع يدها في حركةٍ غريزية أسفل عنقها. وذهبت أشقّ طريقي للخارج تاركاً إيّاها في حيرتها ،وعينيها الزّائغتين.

هنا فقط عرفت من أنا ... هنا فقط عرفت ما أنا ... هنا فقط سقط القناع كلّية.

***

ذكريات

Il n' y a pas de retenue...

***

أتذكّر هذا الطفل ذو الشعر النّاعم كشلّالات "الشيكولاتة الذّائبة"،ووجهه الهادئ بلونه القمحي الذّائب في الحليب وجسده الضّئيل؛ أتذكّر ملامحه القاسية رغم حسنه كأنها وقع "ريشة الفنان" التي بخطٍ واحد ضئيل تحيل الصورة من بديعة صافية إلى ملتهبة مختلفة. دائمًا ما كان وحيدًا بالنّسبة لزملائه فهو وواحد أو اثنين دائما معا ،أو هو وحده لا يخالطهم كثيرا. كان تلميذًا نجيبًا من الأوائل دائمًا، لا أتذكّره محبوبًا أو مكروهًا من زملائه ؛لكن أتذكّره مختلفًا منطويًا.

اتخذ من الكمبيوتر وأقلام الرصاص صديقين لم يتركهما قط في أيٍّ من مراحله العمرية ومن بعض الرياضات رفاقًا يزولون أو يهجرهم – أو يهجروه – مع مرور الوقت، في منزله الواسع رغم صغر عدد أفراد أسرته، يجد نفسه دائمًا مشغولًا في منزله الضّيق ناصع البياض رغم وسع مكتبه،أو نافذته الملوّنة النافذة على العالم بأسره؛علاقته بأسرته كانت بسيطة، الابن الوحيد لوالدين طيّبين وحازمين في آنٍ واحد، هدية "الله" لهم غريبة الأطوار والمحبوبة أيضًا ،ولكنّهما يحبّانه وهو يعلم ذلك شبه

جيد.

هذا جزء من حياته الشخصية و العائلية فلقد كان لي – رغم معرفتي الجيّدة به – دائمًا غامضًا ومفاجئًا و... مبهمًا.

• • • •

"الأحد"، يوم الإجازة الأسبوعية للمدرسة، طفلنا هذا في الصّف "الثالث الابتدائي" ذاهب إلى منزل صديقه المقرّب – والقريب من منزله – فقط ينزل إلى الشّارع يسلك يمينه فيساره ويمشي هذا الشارع القصير؛ليجد منزل صديقه "كريم" في آخره، حفظ هذا الطريق عن ظهر قلب.ولكن اليوم يمينًا فيسارًا وهذا الشارع الذي يلعب بعض الصبية الأكبر منه سنًا كرة القدم فيه، يراهم منذ أن سلك هذا الشارع ،ويودّ لو لعب معهم لكنه متّجه إلى منزل صديقه ربّما لو كبر بعض الشّيء لاستطاع اللعب... "حاسب!!" كانت تلك صرخة اثنين من اللاعبين ينبّهونه لتلك الكرة المسرعة تجاهه، لكنّه لم يفهم سبب الصراخ والقلق هذين، فالكرة أعلى منه بكثير،فقط شتّتاه عن تفكيره وأحلامه بالكبر واللّعب والتأخير،وأفاقته صيحاتهم القلقة بدون داع، فأكمل طريقه وشكرهم وقضى اليوم مع "كريم"، ونسي الأمر برمّته.

في يومٍ كان جالسًا في غرفة المعيشة مع أمّه يشاهدان التلفاز

بعد أن انتهيا من المذاكرة يتحدّثان ومعها كوب الشاي خاصّتها؛ وضعته على المنضدة وبدأت تتحدّث مع طفلها في أمرٍ ما ،وكانت عادتها عندما تنفعل في الحديث تبدأ بالتلويح فأطاحت يدها بالكوب ،ولحسن حظهما الكوب سقط بينهما ،ولم تمسّهما قطرة من الشاي المغلي في الكوب ،وتناثرت ذرّاته وقطراته مكونة شكل لهب على الملاءة!.

ذات يومٍ في المدرسة كانت حصّة الرّسم هي آخر حصّة في اليوم الدراسي، طلبت المعلمة من تلاميذها رسم موضوع تصميم ابتكاري لهدية "عيد الأم"؛ لاقترابه وقد اختارت موضوع التّصميم هذا حتى يستطيع الطلاب الانتهاء منه أثناء الحصّة ؛لأنها يجب أن ترصد بعض الدرجات حسب طلب موجّهها في المادة...خمسةٌ وأربعون (٤٥) دقيقة هي زمن الحصّة، الأطفال منهمكون في الرّسم والتلوين، هناك من يرسم الورود وهناك الذي يرسم كارت معايدة لأمّه ،وهناك طبعًا المشاغبون الذين يعبثون بالألوان ولا يرسمون شيئا؛من بين هؤلاء التّلاميذ كان هناك هذا الطفل جالسًا معه قلمه الرّصاص منهمكًا في رسم شيء باهتمام غير مكترث بتلك المرأة الواقفة تساعدهم ببعض الأفكار ،وترسم بطبشورها بعض الرّسومات التي يقف أحد التلاميذ ليسألها عنها. يرسم ،ويرسم ويرسم، وبسرعة، صعبة جدا تلك الرّسمة؛ مع دقة جرس نهاية الحصة واليوم ألقى قلمه كالمجرم الذي يلقي بمسدّسه عندما يُحاصر من

عناصر الشرطة. قام التلاميذ،وهو معهم يعطون كراسات الرّسم "للمُعلمة" يسلّموها في صف ويخرجون، وتبتسم هي في حبٍّ عند رؤيتها لرسومات هؤلاء الأطفال - وتوبخ بالطبع الذين تكاسلوا وتتوعّدهم بدرجات أقل - ثمّ أعطاها كراسته وذهب خارجا، همّت بأخذ الكرّاسة التّالية ،ولكن استوقفتها رسمة هذا الولد الصغير وأخذت تبحث عنه بنظرها لكنه اختفى،أخذت تحدّق في الرّسمة دقائق معدودة بدت كأنها دهور،والتلاميذ المندفعون يسلّموها كراساتهم للعودة إلى منازلهم لم يفيقوها من وجومها؛أخذت تتسلّم تلك الأشياء الزرقاء واحدةً تلو الأخرى حتّى أفاقها أنّها مازالت تتسلّم الهواء من الفراغ!.

مضى أسبوع حتّى الحصّة التالية للرسم ،وبدأت تلك الآنسة حصّتها بتوزيع تلك الكرّاسات الزرقاء على تلاميذها واحدًا تلو الآخر؛ لمعت عيناها و هي تهتف- كمن وجد ضالّته- "شريف رمزي"؛قام بلهفةٍ ليعرف كم أُعطى من درجات، فهذه مادّته وصديقته المفضّلة و المقرّبة - و الوحيدة - غير أنّه يحبُّ تلك "المعلمة" للطفها وحنانها،فوجدها تعطيه الكراسة كاشفةً عن الرسمة وبجانبها عشر درجات من عشرة ومعهما كلمة شكر ،وسألته "كيف رسمت هذا ؟!..لماذا هذه بالذّات؟؟!"ساد الصّمت بينهما على صوت التلاميذ المتهامسين، فعادت تسأله "كيف عرفت؟!". لم يعرف كيف

يجيب؟ أو تفسيرًا لأسالتها، لكنّه أجاب رغم ذلك في براءة : "رأيتها فـــرسمتها"؛ وهي لم تعرف ماذا تقول له غير ذلك ،فهو طفل لا يعرف ماهية ما تقوله أو يفهم حرفًا ممًا بداخلها، لم ولن يكون ليفهم شيئا.لمحها قبل أن تومئ له "المعلمة" برأسها للرجوع إلى مكانه، تلك "القلادة" حول عنقها هي ذات الهدية التي رسمها من أجل "عيد الأمّ"في الحصّة الماضية،والتي هي أمامه حول عنق معلّمته وأمامه في كرّاسته، لكنه لم يُعرْ اهتمامًا كبيرًا لذلك ،وذهب إلى مقعده وبدأ الحديث مع زميله الجالس بجانبه حتى انتهت هي من توزيع الكرّاسات، وبدؤوا موضوع رسم جديد،وانتهت الحصّة تعلن عن العودة إلى المترل بينما هو خارج سمع أحد المعلّمات تسأل معلمة الرّسم في إعجاب عن قلادتها فأجابتها :"هذه هدية خطيبي لي في عيد ميلادي".

مربع صغير بداخله "زهرة لوتس" جميلة وجديدة المنظر، وجيدة التّصميم جعلت تلك الآنسة تتعجّب ،وتفكر أسبوعًا كاملًا حتّى أتاها الرّد المثالي "النسيان" ،و لكن "شريف" لم ينسَ كيف كان سعيدًا أثناء رسمها، شغوفًا لرسمها.

• • • •

لم يشعر "شريف" بالظلم كما شعر به هذا اليوم، بسبب ثلاثة مشاغبين وجد نفسه ،وكلّ الفصل لديهم"retenue" (حجز) في المدرسة يوم "الجمعة" ،فقد رمى ثلاثة تلاميذ

الطّباشير على "المعلّمة" أثناء شرحها على السّبورة؛ لم يُشِرْ أحدٌ عند سؤالها عن الفاعل ،ولم ينطق أحد فأعطتهم جميعًا حجزًا في المدرسة يوم "الجمعة"؛ ليكتبوا مائتي مرة" On doit respecter nos professeurs "(يجب أن نحترم أساتذتنا).

كان الّظلم مضاعفًا بدءًا من الحجز إلى خوفهم هؤلاء الثلاث ؛لذا لم ينطق أو يستطع الإشارة إليهم، يكره شعوره هذا بالضّعف ،لكن لا يدري ماذا يفعل؟ فهم - رغم صغر سنّهم - من الشراسة "أسود ثائرة"ومن الدّهاء "ثعالب"، فضلا عن أحجامهم التي تضاعف حجمه، كم كان يودّ لو يستطيع فعل شيء لصدِّ هذا الظّلم.لماذا دائما يكسب الظلم معركة الألوان؟! لم يعرف أبدًا لكن عرف أنّ هذا اللون لن يطول، ظلّ يدعو أن يُلغى هذا الحجز وهو بداخله ثورة غضب انطبعت على وجهه في لون أحمر ملتهب،ولكنّ "المعلمة" تكتب ما يجول بخاطره وخاطر زملائه الذين حوله الشّاعرين بالسّخط، والذل والظّلم، لكن ما كتبته أطفأ نارهم المتّقدة " Il n' y a pas de retenue sauf à Ahmed, Khaled et Moustafa ".

نعم. ألغت عقابها بخطّ يدها إلا على الثلاث "أحمد" و"خالد" ،و"مصطفى"، انفرجت أساريرهم جميعًا ،لكن وسط

فرحتهم هناك ما طرأ جعلهم جميعًا يتشتّتون ويرقبون ما حدث؛ سقط "شريف" مغشيًا عليه. بعد هذا اليوم أعاد النّظر في ما سبق، لم يفهم أو يعرف من قبل ؛لكنّه عرف أو بمعنى أدقّ شعر، شعر بكلّ تلك الطّاقة والجهد ،والظّلم والكراهية التي تغلّبت عليه،شعر بنفسه يخطّ على السّبورة!لم يعد طفلا،لكنّه لم يكن ليستطيع أن يدرك جيدًا ما بداخله؛ ليس لولدٍ في الصّف "الخامس الابتدائي" أن يدرك ما هو.

لكنّه عرف أنّه مختلف.. مختلف عمّا حوله... مختلف عمّن حوله.

• • • •

E.S.P.

مضت أيّامي سريعة بعد حادثة إغمائي ،ولم تدركني أيّة من الأحاسيس التي شعرت بها في طفولتي إلّا مرّة أو اثنتين على الأكثر أو هذا ما اعتقدته ؛لأنّني مازلت لا أفهم جيّدًا ما بي ،أو ماذا يحدث أو ماذا أفعل،فلقد أصبحت الآن في مرحلة "المراهقة" ،وأستطيع أن أدرك أكثر.كبر هذا الولد الصّغير، مازال محتفظًا بلونه القمحي ولكن يبدو أنّ الحليب قد تعكّر، أصبح شعري أطول على طريقة "فنّاني هوليود"،خطّ في وجهي "شارب ولحية"؛ليضفيان على وجهي قساوةً،ومظهرًا مشعوذًا.!

وددت لو اعرف كيف أتحكّم في مواهبي تلك؟أو أن تأتيني عندما أحتاجها؛ لكنّها كالطفل العابث تذهب وتجيء بدون إنذار أو إدراك منّي لها؛ لم أخبر أحدًا عنها فظلّت سرّي الخاص. سر كبّلته بالأصفاد و الجنازير ،وألقيته في أعمق أعماق نفسي. بحثت في كلّ كتاب،وجميع مواقع الإنترنت عن موهبتي تلك، فعرفت عنها الكثير - الكثير جدًا - ولكني لم اعرف ما هي موهبتي الخاصّة؟.

" الحاسة السادسة " كما يُطلق عليها،فمن البداهة أنّها تبعد كلّ البعد عن الحواسّ الخمسة التي خصّنا "الله" بها فهي أنقى، أقوى، أوضح و أخطر.واسعة ،ومحيرة تلك الحاسّة السادسة. عرفت منها الTelepathy أو "التخاطر" ،وهو القدرة على

التخاطر عن بعد–نقل وقراءة الأفكار–،أيضا ال Empathy "التقمص العاطفي"وهي القدرة على مشاركة أحاسيس ومشاعر شخص آخر قريب ،أو حتّى يبعد كلّ البعد عنك وبينك و بينه مسافات بعيدة، و هناك أيضا الTelekinesis و هي تطويع المادّة ذهنيًا؛ هذا ما عرفته - أو فعلته - حتّى الآن.

ولكن هناك الPrecognition أو الPremonition وهو التنبؤ بأحداث مستقبلية "أو الإنذارات المستقبلية" (هناك فيلم ل Sandra Bullock بذات الاسم) وال Transvection(أو Body Levitation) و هي القدرة على الطيران أو الارتفاع عن الأرض،ويوجد الاستنباء أو الDowsing وهو الأكثر عمليّة يمكن التمرّن عليه ،فبواسطة أدوات الاستنباء يمكن التنبؤ بما في باطن الأرض ك:"مصادر المياه الجوفية والبترول وأيضًا للكشف عن الألغام ... إلخ" و هي تعطي نتائج متينة وثابتة. والاسم الأكثر تداولًا لتلك القدرات النفسية هو.E.S.P (Extrasensory Perception) أو الإدراك الفائق للحواس؛ ثلاثة أحرف تشكّل حياتي كلّها، تشكّلني وتمثّلني. ثلاثة أحرف وثلاثة اختصارات لبحرٍ واسع وعميق من الإمكانات والمواهب،إنّه الإدراك الفائق للحواس .Extrasensory Perception

إنه .E.S.P

ماض ليس ببعيد

بحبك... (شهيق) ...

• • • •

تعرّفت على تلك السّاحرة في مرحلة الثانوي؛نعم كانت ساحرةً بكلّ المقاييس:"الجمال الأوروبي الأخّاذ"،"العيون الصافية صفاء السّماء" في يومٍ صيفي بديع بدون سحب،"الشعر الأصفر" في لون الذّهب الخام،"قوامها الممشوق"، "رقّتها" التي لم أر لها مثيلًا كأنّها غصنٌ هشٌّ رقيق وحّساس، و"طريقتها في الحديث" التي تخلب اللّب؛ وأنا هذا الكائن الأسطوري بجانبها، "شعري الطويل" و"ذقني" التي قلّما أحلقها كأنّي شخصية "مارفل" (Marvel) الشهيرة " ثور(Thor[†]) " مع الفارق الكبير في الحجم بيني وبينه ،فأنا لست مفتول العضلات أو عريض المنكبين - مجرّد جسم عادي -،حتّى ذوقنا في الموسيقى يوضّح مدى الفارق الكبير بيننا،شخص يحب الكلاسيكيات والموسيقى الهادئة ،والآخر يسمع موسيقى الميتال (Metal)؛ لكن أعتقد في اختلافنا سر تجاذبنا.

أوّل لقاءٍ بيننا كان في درس "اللغة الفرنسية" في "المرحلة

[†] Thor: في الحضارة ال(جرمانية) هو إله الرعد و البرق ارتبط اسمه بمطرقة يحملها دائمـــا تـــصنع البرق و الصواعق لذا في كل صوره و رسوماته يحمل مطرقة.

الأولى" من الثّانوية العامة – تلك الظّاهرة التي أقصت المدارس من دورها في هاتين السنتين تحديدًا دون إدراكٍ لم؟ أو كيف؟!
– كنّا في منزلها وجالس بجانبها، أعجبت بها منذ الوهلة الأولى، فبدأت أتجاذب أطراف الحديث معها،وتمّ التعارف في تلك المرّة الأولى.كم وددت لو أعرف فيما تفكر حتّى أستطيع أن أنفّذه لها؛لماذا لا أستطيع أن أتحكّم في عقلي وموهبتي على التخاطر؟!،كنت أريد أن أجعلها دومًا سعيدة.توطّدت علاقتنا كثيرًا وأصبحنا مقرّبين جدا نتحدّث في كلّ شيء وأيّ شيء، أشعر بأني في منتهى السّعادة أثناء تواجدي معها ،وبالفرحة تغمرني عندما نتحدّث تليفونيًا.

أوقاتٌ كثيرة كنت أستذكر وأجدني لا أريد المذاكرة مرّةً أخرى ،فأقوم ألهو على الحاسوب(الكمبيوتر) – أبحث عنها و أجدها! – لم أنتظم في المذاكرة جيّدًا بسبب أحاسيسي تلك، إنّه شعورٌ غريب و مسيطر إنّه.. الحب. هذا الإحساس الذي لم أعرفه قط ،و لم أعهده من قبل يأتيني بكلّ قوّته ويجتاحني، أنا الذي لم أعرف من النّاس إلا القليل ،و لم أخالط منهم إلّا الأقل. هذا المنطوي الخجول الذي لم يعرف كيف يعرف النّاس، تعرّف عليك،بل ويحبك أيضًا ،لكنه لا يستطيع أكثر من ذلك. هنا توقفه القوّة الأكبر منه وهي "الخجل"،لكن يومًا سيستطيع.

مرّت الأيام وحصلت (أتيت) على مجموعٍ ليس بجيد جدًّا

في تلك السنة كما كنت أتوقّع،لست أنا هذا التلميذ النّجيب كما كنت من قبل،ولا أدري لماذا؟! فوق التسعين بالمائة بثلاث لم يكن هذا ما توقّعته ،أو أردته حتّى.

السنة الأخيرة في المدرسة وبعدها أدخل عالمًا مبهمًا لا أعرف عنه شيئًا إلّا أنّني سأتحوّل من "تلميذ" إلى "طالب"؛ مازلت أعرف ذات الفتاة،لكنّني لا أعرف لماذا مشاعري متغيرة إلى هذا الحدّ؟بدأت لا أفهمها،أصبحت أكرهها وأحبّها، أشتاق إليها ولا أطيق وجودها،كلّ هذا ظل يتصارع بداخلي، ولم أفهمه.

ذات يومٍ خرجنا أنا وهي،وصاحبي "كمال" ،وبعض زملائنا من المدرسة و زملاء الدّروس الخصوصية وبعض صديقاتها، دخلنا السّينما لمشاهدة فيلم "رعب"- من اختياري طبعًا - شعرت بها، شعرت بحبّها الجارف لي رغم أنّها لم تكن جالسةً بجانبي،لكنّني كنت أختلس النّظر إليها فأرى هذا الوجه الشّفّاف الملائكي كأنّ الفيلم يدور على وجهها لا على شاشة السّينما، أراها تبتسم في مرحٍ وخجل ،رغم الرّعب المسيطر على باقي الزّميلات المنكمشات في مقاعدهن؛نعم أشعر بسعادتك ودقّات قلبك المتراقصة فرحًا.

بعد أن انتهى الفيلم وقفنا خارجًا نتحدّث حول أحداث

الفيلم ،وهناك من يهدئ الفتيات اللّاتي يدمعن – إما لرقّتهنّ أو للفت الأنظار إليهنّ – وأنا واقف وسط كلّ هذا أشاهد، أحسست بنسمة هواءٍ لطيفة و شعورٍ دافئ، التفت فرأيت أجمل إنسانة في الكون تتّجه نحوي بوجهها المورد ،وتردّد في جميع أنحائي "أحاسيس الحبّ والحنان" "بحبك" قاطعني شهيقٌ آت من أعماقي أثناء تفكيري كيف أقولها؟! متوتر ومتلعثم هذا حالي الآن،ولكنّني هممت بمصارحتها بمشاعري التي خبّأها دهرًا بداخلي،فأسرعت هي بالكلام قبلي:"كمال سوف يأتي لخطبتي يا شريف" قالتها بوجهٍ مليءٍ بالحبّ و الحنان،ووجهي عليه نظرةٌ زائغة تحوّلت إلى وجوم،وأكملت :"حقيقي.. سوف يأتي لخطبتي بعد غد، لقد كلّم أهله منذ وقتٍ ،وتركني جاهلة كلّ شيء عن الموضوع حتّى صارحني اليوم ،وقد حدّدوا الموعد مع أهلي منذ البارحة و أنا آخر من يعلم......" ظلّت تتحدّث وتتحدّث،ولكنّني سمعت فقط الخلاء من حولي وكلمة واحدة رنّت في أذني من كلّ الحوار:"أنت أعزّ أصدقائي" فجأة أصبحت خالٍ من الداخل كأنّ أحدهم شفط الحياة من داخلي. عيناي مفتوحتان تنظران إليها ،لكن موقع الإبصار في مخّي قد تعتّم.

كلّ هذا الذي أحسسته ماذا كان كلّ هذا؟ ما... رأسي! أنينٌ رهيب في رأسي! وأحداث، أحداثٌ تهبط عليَّ. آآآآآآه ه

الآن أتذكّر، أتذكّر كلّ شيء أرى سنتين من موقع "راو" لا من موقعي، أتذكّر يوم تعرّفت عليها تعرّفنا عليها سويّا أنا و"كمال"، في كلّ مرّة كنّا نخرج بمجموعة كان هو معنا، لم يكن صديقي "كمال" هذا إنّما صاحبٌ وزميل دراسة و دروس، أتذكّر هذا اليوم الذي كنّا نستذكر فيه سويًا - أنا وهي - كم كنت مشتاقًا إليها رغم وجودها معي، هذا اليوم الذي لم يأت فيه "كمال" لظروفٍ عائلية؛ أفهم الآن لماذا لم تقبل هديّتي في عيد "الفالنتين" - عيد الحب - رغم الوردة التي كانت في يدها و قالت لي:" إنّها لأمّها"،... أعَزّ صديقٍ لكي ،لكن هناك من كان يحرّكك ويتحكّم بك،يستأثر بمشاعرك ،ويتقرّب لي ليكون بقربك أكثر، أعَزّ صديق؟ فكيف تخونانه وتخوّنانه؟!

جنَانٌ رائعة الجمال تخلب اللّب شعرت بها معك ورأيتها بعينييك،عطر الحنان العذب استنشقته فيك،ترياق الحياة استقيته من عينيك وكلماتك؛ الآن لا أدري ماذا كان كلّ هذا؟.يا ويلي من موهبتي وحاسّتي السّادسة تلك،الآن أصبحت مشوشًا متعب الذّهن؛ أكان كل هذا منذ البداية شعورك - أو شعوره -؟ أكنتُ فقط مرآةً لمشاعرك و أحاسيسك؟!

"النعيم والجحيم" هاتان الكلمتان تتردّدان في ذهني الآن،نعم لقد خدعني هذا الصّاحب المزيّف - أو أنا الأعمى! -، نعم لقد خانتني مشاعري تجاهك أيّها الملاك خدعتني وتغلّبت عليّ

الEmpathy، فعلًا أيها الE.S.P أنتِ النّعيم و الجحيم في آنٍ واحد.

ظللت أمشي كالمنوّم مغناطيسيًا حتّى وصلت أمامه ،وحينما استدار سدّدت له لكمة خطافية في وجهه أسقطته أرضا؛ وواصلت المشي تاركًا ورائي من يسبّني ،ومن تجمّع حول "كمال" الملقى أرضًا ينزف من وجهه، والمارّين يحدّقون في دهشة فيما لا يعنيهم ومعهم "ملاكي". شعرت أنّي أمشي طريقًا طويلًا لا أعرف أين ينتهي و يحترق كلّ ما خلفي في مشهدي هذا. حينها فقط أطلقت زفيرا.

• • • •

أوّل قضية

الأيّام الأولى كطالب في الجامعة هي من أغرب الأيام التي تمرّ عليه، الانتقال من نهجٍ ،ومنهج وحياة وأسلوب عرفه إلى شيءٍ بعيدًا تمام البعد عنه ،وخصوصًا لطالبٍ مثل صديقنا منطوٍ وخجول قضى ثلاثة عشر عامًا من عمره في نفس المكان ومع نفس الأشخاص – وهي سنوات الدّراسة من الحضانة حتّى الثانوي – في نظامٍ يختلف تمامًا عمّا فيه الآن، لكنّه راضٍ عن اختياره لكلّيته ؛فهو الآن طالب في كلّية "الفنون الجميلة". أعرف أنّني سأبلي فيها بلاءً حسنًا، لديَّ الموهبة ويجب أن أثقلها وأنمّيها؛ لا أفهم كيف كنت طامعًا في كليةٍ من – المطلق عليهم – "كلّيات القمة" ،والسير مع القطيع، عهدتني مخيّرًا لا مسيّرًا أفعل ما أفكّر فيه وأحسنه لا كما الأغنام.وتلك الأحداث التي مررت بها في فترة "الثانوي" كان لها فضلٌ كبير في إفاقتي رغم أنّها عطّلتني كثيرًا دراسيًا واجتماعيًا.

منذ أن دخلت "الجامعة" وقد أصبح لي أصدقاء مقرّبين؛ لا ليسوا من الكلّية إنّما من الماضي، وجدنا أنفسنا معًا و لا ندري كيف رغم معرفتنا ببعض من قبل، لكن فجأة كلّ منّا وجد في الآخر شيئًا ما كان يريده ،ويبحث عنه. مَن كانوا يتحدّثون – كما يقال – كلّ سنة مرة ،أو قضوا فترةً قصيرة مع بعضهم،

الآن هم كالحلقة الكاملة؛دائرة ممسوح منها بعض النّقاط اكتملت لدى كلّ واحدٍ منهم بوجود الآخرين.

"رامي" في المجمّع النّظري،"نادر" و"طارق" في المجمّع الطّبّي، و" رالف" في إحدى الجامعات الخاصّة في "القاهرة"؛ خمسة في كليات مختلفة و متفرّقة جغرافيًا و دراسيًا؛لكنّهم شبه يوميًا مع بعضهم باستثناء هذا الذي في "القاهرة" ثلاثة أيام ،والأربعة الآخرين مع أصدقائه.

في يوم دعانا "رامي" لنذهب إليه في كلّيته فلبّينا الدعوة؛ لاتفاقنا على الذّهاب إلى "مكتبة الإسكندرية" التي تقع خلف المجمّع -كما يطلق عليه-بعد ذلك، وأدخلنا -بالطبع- بطريقة غير مشروعة!؛هناك عالم آخر مختلف عمّا يعيشه كلّ واحد منّا في كلّيته ،فمجمّعه النّظري يضم خمس كلّيات مختلفة تمام الاختلاف فترى كلّ أشكال وطباع البشر.أثناء رحلتنا تلك في بحر البشر ومتحف الأعين – التي تتطلّع إليك وإلى كل وأيّ شيء – هذا، رأيت امرأة أجنبية – واضح من لونها الأبيض كالثّلج وشعرها الأصفر-تصرخ بعينيها وتستنجد بفمها!، وتبحث بـــلسانها عن شيءٍ ما من الواضح أنّه فُقدَ منها. هناك أناسٌ يجرون إلى باب الكلّية ورؤوس تتبعهم،وقال "رالف":"هناك سرقة في المكتبة"؛المكتبة!كيف

المكتبة؟!،ووجدته مسرعًا - فهو يحبُّ تلك الأحداث ويجد لذّة في مشاهدتها ومتابعتها ،وخصيصًا ما يحدث في الشّوارع دومًا - فتبعوه وتبعتهم شارد الذّهن غير مستوعبٍ لما يحدث. تلك المرأة بشعرها الأصفر - المصبوغ - لتضفي على نفسها مسحة الأجانب-كأنّها تودّ أن تقول:" أنا لست من هنا"-ولا تعرف أنّ ملامحها و لونها رغم وجوده - النّادر - يفضحانها، وجدتّها تتحدّث إلى رجل شرطة قائلة:"My Wallet "،وطبعًا أُغْلِقَ المكان بأجساد بشرية متلفّحة بالسّواد والتّجوم؛ سُرِقت المحفظة من تلك المسكّينة ورجال الشّرطة لا يعرفون كيف يجدوها لها بين كلّ هذا الجمع المتواجد من أفواجٍ سياحيّة،وطلاب وحبّيبة؟!.

تابعت كلّ هذا بنصف وعي ،فكان النّصف الآخر يفكّر في رؤيتي لتلك السّائحة؛ أيمكن أن يكون لديّ تلك الموهبة أيضًا؟! أأنت ال"Clairvoyance"؟! لقد عرفتك في قراءاتي عن القدرات النّفسية فقط! - ال Clairvoyanceآتية من اللغة الفرنسية (Clair) واضح و (Voyance) رؤية - .

الآن يجب التّركيز الكامل في تلك الأحداث، الضحيّة تولول أمام ضابطي شرطة ،وهما بدورهما يصرخان في عساكرهما - الذي يجب أن يكون اسم أحدهم "منصور" ،أو "همّام" دائمًا لا اعرف لماذا؟! - والجميع يتساءلون كيف؟ومتى حدثت السّرقة؟

السّرقة؟،وكيف يجدون حافظة النّقود المختفية تلك؟!.هناك اثنان يبحثان، الأوّل يبحث بالطريقة المعتادة ،والثّاني يبحث في نفسه عن الطريقة غير المعتادة.شرطيون يسألون السّيّدة – التي تلعنهم وتلعن في نفسها حظّها العاثر – عن الأماكن التي زارتها حيث يمكن أن تكون قد أضاعتها في أحد الأماكن التي زارتها في جولتها ،وآخرين يستجوبون من كانوا على مقربةٍ من السيّدة، و" ثور (Thor) "واقف من بعيد مع المتفرّجين وقد اخترق الجمع؛ليقف في الأمام يسترجي عقله حينًا ،وينهمك في التّركيز حينًا ،ويغضب فجأة أحيانًا أخرى؛إنّني يا صديقتي أيّة صديقة منكنّ.أريد مساعدةً هنا.هدأت المرأة بعض الشيء،والشرطيون بدؤوا يفقدون الأمل فظهر فتورٌ واضح في تحقيقهم، مازلت أنا واقفًا هناك غير مكترثٍ لأصدقائي الذين يريدون الذّهاب،ف"الحفلة" انتهت لكي أعرف أنّني أستطيع المساعدة؛لذا لن أبرح مكاني حتّى أجد تلك الحافظة؛في لحظةٍ ما شممت عطرًا، عطر شديد النّفاذ (عطر نسائي) من الأنواع الفاخرة،لكن من أين أتى هذا العطر؟!

أحدّق في التماثيل الموضوعة في جميع أرجاء المكان ،فهذه من أجمل الأشياء في بهو المكتبة تلك الأعمال النحتيّة الفيزيائية، والفنيّة والتماثيل جميلة المنظر...هناك تمثالٌ معيّن أبحث عنه بعيني، نعم أريد هذا التمثال بالذّات؛بدأت أمشي في المكان

أبحث عنه متجاهلًا هذا الضّابط الذي يناديني لأبتعد ،وأصدقائي المتحيّرين ممّا أفعل،نعم أرى بعينيك أيها السّارق أرى ما تفكر به!، أرى بذهنك ،لكنّي لا أعرف ماذا أنا باحث عنه؟!.وسط التجوال وجدته، أراه بعيني عملًا نحتيًا قديمًا لشيءٍ "كالشمس" مرتكزًا على صخرة،وحوله صخورٌ منحوتة بنفسِ الأبعاد في أشكال شبه هرمية وعليهم نقوش ،ويشكّلون دائرةً حول التي أراها" شمس"، ولكنّي أشمّ تلك الرّائحة مرّةً أخرى؛ أنظر إليه مليًا ،وألتفّ حوله عدّة مرّات ،وأدقّق فيه، يجب أن يكون شيئا ما هنا...نعم! هناك تجويف في تلك الصّخرة المرتكزة عليها تلك "الشمس" تسدّه.ورقة مكتوب عليها معلومات عن هذا الكيان ؛لكنّها مهترّة فنزعتها و... وجدهّا!!وجدها،أصرخ في نفسي كما صرخ "أرشميدس" عند اكتشافه قانون "الطفو"، مددت يدي لألتقطها وأخذها إلى أحد الضّباط ،وحكيت له بسرعة أين وجدها؟والورقة المختلّة لا أكثر؛ تفوح منها تلك الرّائحة،هذا العطر النّسائي،وأخذته معي كما تسحب الأمّ طفلها من يديه لأستبين شكوكي.!!!

أقف أمام الضّابط أتفقّد الحشد الواقف يشاهد مسلسل السّابعة هذا! أبحث عنه مركّزًا كلّ ذهني وحواسّي في حاسّة "الشّم".ها أنت،أشرت للضابط قائلا:"هذا هو السّارق" يدك تفوح منها تلك الرّائحة ؛لذا لا تحاول الإنكار ، ولا تنظر لي نظرة الوعيد والجبن تلك لأنّه أنت،لم تعلم أنّ معظم النساء يضعن-يرشّون- عطرهنّ في حقائبهنّ،حتّى يصبح كلّ ما

معهنَّ بذات الرّائحة التي هنَّ عليها.دخل في صياحٍ هستيري من نوعية " اتّقِ الله ،ومن أنت لتُسَرقني"،ولماذا أسرق شيئًا به خمسة عشر دولارا،حرام عليك يا شيخ؟!...."،مازال في صراخه وصياحه حينها نظرت للضّابط نظرة المرحّب بضيفٍ عزيز و....

• • • •

بداية البداية

في طريقنا إلى "القاهرة" أنا و"رامي" ذاهبان إلى "رالف"؛لقضاء ليلة رأس السّنة معه، نظّم الطّلاب في كليته هذا الحفل،وحجزوا قاعة أحد فنادق "القاهرة" - الخمس نجوم - المطلّة على النّيل ؛لإقامة هذا الحفل فهو حفل استقبال وتوديع في آن واحد،استقبال سنة جديدة وتوديع الكلّية والحياة الدّراسيّة.السنة الأخيرة في الكلّية لكلينا أنا و"رالف"،أمّا "رامي" فقد تخرّج السّنة الماضية،ويعمل في شركة والده للاستيراد والتّصدير والآخران علقا في "الإسكندرية" مع عائلاتهما و دراستهما بعض الشّيء.

قضينا الطّريق في الثّرثرة والضّحك وسماع الأغاني،وتسلّيتنا في تلك الرّحلة "الرّوائح"،فقد تذكّر سرقة المكتبة و العطر والسّارق المغفل أثناء مرورنا بجانب مصنع الزّيوت الصابون،حيث إنّ تلك المنطقة حوله تشتهر برائحة مميّزةمنبعثة منه،فقال مازحًا: "ميّز لي أهذه رائحة الزّيت أم الصّابون؟! "،ثمّ رائحة الملاحات التي تشبه البيض الفاسد وعند الورّاق في "القاهرة" تشمّ رائحة القمامة ،ثمّ إنّه الطريق والاختناق المروري داخل "القاهرة".

• • • •

أين ذهبت تلك ال... اللّعينة؟!

• • • •

الحفل صاخبٌ للغاية، هناك حشدٌ كبير من الشّباب والفتيات (الشابات) يرقصون على تلك الأنغام التي بدأت في الثّمانينات على يد "شولز"[‡](Shulze) الألماني، إنّها موسيقى الترانس(Trance) الملكة المتربّعة على عرش جميع الحفلات الرّاقصة في القرن الحادي والعشرين،ويتخلّلها بعض الأغاني العربية أو الكلاسيكيات للتنويع،ومحاولة لإرضاء جميع الأذواق.

نرقص حينًا،ونستريح لشرب شيءٍ حينًا آخر ونقطع الاحتفال؛ للتعرّف على أصدقاء وزملاء صديقنا في "القاهرة" والكلّية ونكمل؛ هنا قابلت أناسًا لم أتوقّع رؤيتهم أبدا، "كريم" صديق الطّفولة الذي لم أعد أعرف عنه شيئًا ،فلقد كبر كلٌّ منّا وانخرط في حياته ،و لم نعد نرى بعضًا ،وأيضا الأخوان:" ماهر وباهر" اللذان قدّما معي فقرة في حفل التخرّج من المدرسة ،فلقد كنت ألعب "الجيتار" حينها ووددت الاحتراف وتشكيل فرقتي الخاصّة لموسيقى "الميتال" - لكن هذا لم يحدث قط -

وعرفت منهم أنّهم أنشؤوا فرقةً مع بعض أصدقائهم ،ويقدّمون حفلاهم في "مكتبة الإسكندرية" و"ساقية الصّاوي"

[‡] شولز : Klaus Schulze (كلاوس شولز) ولد ٤ أغسطس١٩٤٧ .

في "القاهرة"؛ ما أغرب هذه الدّنيا تقابل أناسًا ،وأنت لم تعرف أبدًا أنّه من الممكن أن تلقاهم مرّةً أخرى ،وفي أماكن لا تخطر لك على بال؟!.

مرّ بجانبي "نادل" فأخذت من الصّحفة على يده كأس شراب شكرته ،وأشعلت لفافة تبغ ،ووقفت أنظر للنّاس التي تحتفل انتظارًا للسّاعة الثانية عشرة أن تأتي عليهم بالعام الجديد. بدأ العدُّ التنازلي والكلّ يصيح في مرح:"خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنان، واحد"،والنور ينطفئ إعرابًا عن ذهاب السّنة القديمة إلى حاجز التاريخ،وتضاء الأنوار بعدما تستلم السّنة الجديدة مكانها على مقعد الكاتب ،والشّاهد على ما سيحدث بها من أحداثٍ و مواقف.

أشاهد هؤلاء الشّباب الفرحين واضعًا يدي في جيب بنطالي كنوعٍ من الوقار لا التّعالي،واليد الأخرى تحمل كأس الشّرابِ،ولكنّي أشعر بفراغ في جيبي. أين المحفظة؟!هل أضعتها أم وضعتها في مكانٍ ما ونسيتها؟! لكنّي لم أحرّكها من مكانها، أين ذهبت تلك الـ... اللعينة؟!إذًا لنبدأ التحرّي عنها. أمامي حلّان: إمّا أوقف الحفل وأقطع فرحة النّاس ،أو أبحث بنفسي لكنّي بالطّبع آثرت الخيار الثاني. لم أظهر أي شيء ؛حيث إنّ "رالف" انفعالي ومن الممكن أن يتسبّب في خراب الحفل كليةً إذا عرف،آمل أن أحتوي الموقف بنفسي! ظللت أتابع المدعوّين

والعاملين، هناك هذا الفتى الذي أشعر باقتضاب شديد من ناحيته بمظهره هذا الذي يفضح أصله الرّديء، بذّلته اللّامعة والحذاء الأسباني ،والانسيال في يده ،وفاتحا أزرار قميصه العليا كاشفًا عن سلسلة لامعة هي الأخرى ،وما أتى به هنا فقط أنّ أهله معهم الأموال التي يستطيع أن يخترق بها هذه الأوساط، إنّه من هؤلاء الأغنياء الجدد-"النوفو ريش"(nouvea riche)-؛هناك أيضًا تلك الفتاة التي تلتفّ حول جميع البشر ليست من النّوع الذي يُشك فيه، لكني لا أستريح لها فهي هنا وهناك ،وفي كلّ مكان! أيضًا هذا النّادل السّاخط على هؤلاء الفتية المدلّلين يرمقهم بكره وحسد في بعض الأحيان؛هناك الكثير من البشر هنا بعضهم من الممكن أن يُشك بهم ،لكن هؤلاء الثلاثة - في رأيي - هم الذين تحوم حولهم الشّبهات. ليتني أعرفأفكاركم الآن ،أو تساعدني صديقاتي لكنّهن يأبون، كيف حتّى أستطيع أن أفتّشهم ،أو أسألهم؟!.

أين أنت أيتها ال... اللّعينة؟! كيف لم أشعر وأنت تُسلبين منّي؟!؛ لكنّي لمحت شيئًا، متأكّدٌ تمامًا ممّا رأيت!هذا النّادل على يده صحفة عليها الشراب أشرت له أن يأتيني بواحد ،وبحركة غريزية مددت يدي في جيب سترته آخذًا ما به. إنّها هي تلك اللّعينة أخيرا وجدتها،وقف أمامي مذهولًا لا يدري ماذا يقول، فأشرت له بالذّهاب؛لا أريد أن أقطع رزق أحد فأكيد له أسباب دفعته لذلك ،غير أنّ عيناه كانتا صادقتان في حزنهما

وبؤسهما،لا يمكن أن تخدعني الأعين ،فأنا أفهمها وأقرأها أفضل من الكلمات؛لاحظ "رامي" ما حدث فسكت وأكملنا الحفل. ودّعنا "رالف"؛ لأنّ مازال أمامنا سكّة سفر ،وتمنّينا له سنةً سعيدة وذهبنا.

في طريق عودتنا سألني "رامي" عمّا حدث ،فحكيت له كلّ شيء عن اختفاء حافظة نقودي والمشتبه بهم ،ولمحي بالصّدفة جيب سترة النّادل والبروز على شكل نجمةMont Blanc ، فجيب سترقم مهيّأ لاستيعاب أوراق كثيرة حسب طبيعة عملهم ؛لذا فزيّهم مفصّل لاحتياجاقم لّيس للأشياء البارزة غير أن "نادل" في فندق لا يستطيع شراء حافظة نقود من هذه الماركة ؛لذا عندما اقترب تأكّدت ممّا لمحته ،فناديت عليه و... فجأة ظهر كائن من وسط اللاشيء، من وسط الظّلمة القاسية ...

***

بقلم: أحمد بدر

الجريمة الكاملة

ذهب زوجان ومعهما ابنتهما الصّغيرة إلى منطقة "سموحة"؛ ليبتاعا الملابس لها و للزّوجة أيضًا بمناسبة عيد مولدها القريب جدًا؛ ابتاعا للطّفلة الملابس وأتى دور الزّوجة،دخلوا جميع المحلّات للبحث لها عن شيء وفي إحدى المحال أثناء تنقيب الزّوجة عن فستانٍ في صفّ الفساتين الملوّنة ،والمزركشة التفتت فلم تجد ابنتها، أسرعت تفتّش هي وزوجها في كلّ أرجاء المكان و لم يجدها؛لماذا انشغلت بالبحث عن هذا الفستان الذي لمحته و لم تجده؟! فنادت زوجها ليبحث معها وتركا طفلتهما. امتلأت الدنيا صراخًا و عويلا،تصرخ الأم في هستريا:" أنتم خطفتم ابنتي، أين خبّأتموها!! هناك ممر سرّي في هذا المحل تخطفون عبره الأطفال من ذويهم"؛وراحت في نوبة بكاء والأب شارد الذّهن يكلم معارفه،أتى مالك المحل ليهدئهما واتّصل بمسئولين في أمن الدولة من معارفه والشرطة أيضًا، فهذه حياة طفلة ،وسمعته وسمعة محلّه على المحك. مازالت الأم في حالتها الهستيرية وزاد الآن اللّطم و الخمش على وجهها، وتتوعّدهم و تدعو ربّها ،وتصرّ على وجود ممرٍ سرّي خطفوا من خلاله ابنتها وأخفوها!.

في تلك الأثناء في أقصى غرب المدينة في منطقة "المنشية" شارع "فرنسا" تحديدًا- أو الصّاغة في "الإسكندرية"-دخلت سيّدة منتقبة إحدى محالّ المصوّغات المنتشرة على جانبي الطريق في كلّ مكان في هذا الشارع ،ومعها ابنتها الصغيرة تودُّ أن تبيع حلقها فخلعته من أذنيها و أعطته لل"خواجة" - صاحب المحل بلغة الصّائغين-،جلس يُضرّب الأموال على ماكينته الحاسبة،وقال لها:"بعد خصم الفصوص منه،لكي مائة وخمسون جنيهًا "،فوافقت و اتّجهت هي وطفلتها إلى منزلهما بعد أن أخذت الأموال، عند الجراج تذكّرت أنّها نسيت شراء مستلزمات المنزل والطفلة بدأت في التذّمر ،فسلّمتها لعامل الجراج ،ونقدته خمسة جنيهات للاعتناء بها حتّى تعود.

بعد نصف ساعة دق باب عامل الجراج ففتح الباب ومعه الطفلة ؛ليسلّمها لأمّها.لكن الملبس الأسود هذا مختلف عن ملابس السّيدة إنّه أسود مخيف تلمع على جانبيه نجوم،وهو نذير الشّؤم عليه؛ حكى لهم أنّ سيّدة منتقبة جاءت ومعها تلك الطّفلة، أعطته خمسة جنيهات نظير أن يعتني بها خمس دقائق؛ حتّى تذهب لشراء بعض الألبان ولوازم المنزل،ولكنّها لم تأتِ قط ،ومن أتى كان رجال الشّرطة هؤلاء!.

من خلال تحريات معارف صاحب محلّ الملابس،ونشر أوصاف الطّفلة استطاع المخبرون معرفة رقم سيّارة الأجرة التي

أقلّتها إلى المنطقة التي بها الجراج ؛حيث إنّه قد تمّ التعرّف عليها من خلال كاميرا المراقبة بمحل المصوّغات هذا الذي وصلوا له عن طريق نشر صورة الطّفلة ،والمخبرين الذين نزلوا في كلّ مكان ،معهم إمّا الصّورة ،أو الأوصاف يسألون؛ لكن أحدًا لم يعرف طريق تلك السّيدة حتّى هذا الرّجل صاحب المحل الذي كاد أن يفقد محلّه بسبب شراء حلق مسروق، لكن صدّقته الشّرطة ،فمن ليعرف أنّ تلك السّيدة المُتديّنة تكون كذلك.

فمن قال:" إنّ الملبس هو ما يظهر حقيقة الإنسان، إنّه وعاء يتّخذه المسوخ و الأبرياء. إنّها الجريمة الكاملة، أيمكن أن يفلت أحدٌ من عدالة السّماء؟رجعت الطفلة إلى أحضان ذويها ،لكن من نغّص حياتهما مازال طليقًا لا يعرفان أسيكرر هذا أو يحدث معهم مرّةً أخرى؟لكنّهما شكرا ربّهم ،وشكرا صاحب المحل واعتذرا له عن الجلبة ،ورجعا إلى بيتهم ليحتفلوا لا بأعياد ميلاد ،ولكن بميلادِ حبٍّ جديد في وسطهم، منهم و فيهم!!.

نُشِرَت القصّة في جريدة " الفنار العالي "

***

أسهل قضية

يوم الإجازة من العمل أقضيه على أحد الكافيهات المطلّة على البحر في الصّباح،آخذ معي بعض الصّحف أو المجلات؛ لأتسلّى بها مع قدح من القهوة بالحليب وبعض السّجائر. أطالع تلك الجريدة الحكومية وخصيصًا – مع معظم الجرائد أفعل هذا – صفحة الحوادث؛حوادث كلّ يوم من اغتصاب وسرقة وقتل،وهذه القضيّة التي شغلت الرأي العام لاستحالة حلّها ،ها هي ذي حُلّت بالصّدفة عند كشف تلك ال"الخاطفة المتديّنة" أثناء بيعها خاتمًا سرقته من إحدى الطفلات اللاتي خطفتهنّ ونشرة المسروقات لدى التاجر ما كشفتها،ثمّ أخبار السّينما و التلفاز ،ثمّ أتصفّحها سريعًا وألقيها بجانبي ،وأشعل لفافة تبغ وأنا أنظر للبحر الصّافي الرّائق أمامي بعينين ثابتتين،وأنفث الدّخان الرّمادي فيعكّر منظر البحر أمامي،وأتخيّل أنّي ألفظ همومي وحزني في تلك الغيمة الرّمادية،وأتساءل أمن الممكن بزفير واحد التخلّص من جميع الأحزان؟!،ثمّ أُرَاني أغرق في سحب رمادية تحجب عن عيني وقلبي رؤية أي شيء،وتنتهي السّحب الرمادية بإطفاء اللفافة ،ولا تنتهي أحزاني مني.

لقد تخرّجت منذ أشهر من الكلّية،ومشروعي أخذ "امتياز"، وكان أحد المعيدين صديقًا لي أُعجِب بأعمالي فلقد تخرّجت

من قسم "جرافيك" الذي هو تخرّج منه ،وأشاد بي لصاحب الشّركة عندما تقدّمت للوظيفة ،فتعيّنت سريعًا و بمرتّب مجزي جدا.

إنّها لأشهر قليلة منذ تخرجت،وأشهر – في رأيي –.أقل منذ أن فقدت صديقي في تلك الحادثة المشئومة فملعون هذا اليوم، ألعنه كما لعن "الفراعنة" أيّامهم في الضّربات العشر ،وغضبتي عليه كغضبة "آلهة الإغريق" على شعوبهم!!!!،مسبقًا لم أكن أهتم برأس السّنة أو أعيره اهتمامًا ؛لأنّه يوم ككلّ يوم ،فقط رقم العام الذي يتغيّر.أمّا بعد الحادث صرت أكرهه وألعنه،وعندما يقترب مرّة أخرى أظلّ ألعنه أكثر!.

بعد الحادث فقدت صديقي لكنّ "الله" عوضني شيئًا آخر، الآن أستطيع التّحكم في مواهبي،ولم تعد تذهب و تجيء متى تشاء،وليست كالطّفل الشّقي صرت أتحكّم بها جيّدًا، أخذت مني بعض الوقت؛لأسيطر عليها فمنذ الحادث أصبحت أسمع كلّ ما يدور في ذهن كلّ شخصٍ حولي في آنٍ واحد،والأشياء ترتفع من حولي أو تنثني فجأة؛ لكن موهبتي التي ظهرت لي كالضّوء في آخر النّفق هي اختراق العقل والإبحار فيه، أيضًا كانت أحاسيسي مضطربة كأنّ صراع المشاعر والأحاسيس لدى البشر كلّه يتحوّل إليّ ،ورأيت أشياءً كثيرة ليست على

مستوى نظري أو حتّى قريبة؛ ظللت هكذا أشهرًا قليلة حتّى استطعت التحكّم بعقلي الذي كان أقرب إلى "فوضى عارمة"، الآن أصبح "كالبركان الخامل" أو بمعنى أدقّ كقطعة الحديد التي كانت مشتعلة ،وتكاد تلتهم النّيران داخلها فبردت واستقرّت.

عرفت أنّ عقول البشر مختلفة ،كلّ واحد لديه شيءٌ يميّزه أدخل عقلًا لأبحث عن شيء فأجده مختلفًا، كلّ واحد بنى في قرارة نفسه شيئًا يعبّر عن عقله كتلك الممرضة - المليحة - صاحبة العزبة أو الحديقة التي وجدتني في عقلها يوم كنت في المستشفى؛ لكنّها كلّها أبواب. الأبواب التي تخبئك و تكشفك، تسترك و تعريك، تصونك وتهينك؛ أبوابٌ تخبئ خلفها كلّ شيء تتذكّره أنت ،ولا تتذكّره حتى ما لا تريد تذكّره. كلّها أبواب لكن الديكور يختلف هذا ما أراه في عقول البشر، وكذلك ما أراه في الحياة، الإنسان هو الإنسان والأحداث هي الأحداث، مهما حاولت الحرب أو الاختلاف ،ذهبت يمينًا أو يسارًا الكلّ واحد لكن الدّيكور يختلف. كلّ هذا يدور في بالي اليوم،ما هذا الصّباح الذي أنا فيه؟!تحوّلت من يومٍ جميل يشرق بحرك فيه على قلبي نورًا إلى ذكريات وأحداث مؤلمة، نعم مؤلمة فلا تحسبنّ مواهبي وقدراتي أشياءً أُحْسَدْ عليهم ،بل حوّلوا لي كلّ شيءٍ إلى اللون الأسود، أرى الكاذب و المنافق بصورته

الحقيقية حتّى تلك اللّحظات التي كنت أحظي بها من حزنٍ أو حبٍّ مع أحد اختفت ؛لأنّي أصبحت أعرف الكثير و أعرف الحقيقة المجرّدة بدون تجميلٍ أو تزييف ؛لذا صارت حياتي شبه جحيم - الجحيم نفسه غالبًا - مع باقي البشر؛لكن حمدا لله أصدقائي ليسوا مثل باقي البشر فعقولهم نقية وصافية وكلامهم، و مشاعرهم صادقة - على الأقلّ معي، فنحن جميعًا بشرٌ في كلّ الأحوال - وإلا كنت قد تركت العالم ؛وأرحت نفسي.

تركت البحر و ذكرياتي و التفكير - الذي يتّبعني و يتعبني -وانهمكت في رؤية اثنين قادمين من بعيد، شاب في الثلاثينيات من عمره يمشي وراء تلك الفتاة ذات العشرين(العشرينية) يغازلها بأغرب الكلمات ،وهي لا تحاول التملّص منه أو من كلماته ،لكنها تزيد أنوثتها في مشيها أكثر.إذًا الاثنان على نفس الخط بائعٌ وشاري ،ولكن.. أنت لا تعرفين ماذا ينوي هذا الشاب عليه يا فتاة؟ عقله يقول عكس لسانه، أنت فريسة ولست "بائعة هوى" بالنّسبة له!؛ أدخل عقله تمامًا مثل نفسيته - التي يدلّ عليها تفكيره - قبو مظلم رمادي على جانبيه أبواب بنية عتيقة ،لكنّي أبحث عن باب معيَّن (باب موارَب)، تعلّمت من موهبتي أنّ التفكير في ذكرياتٍ تترك بابًا مواربًا ولو تشغل حيّزًا صغيرًا من التفكير ،أو يخفيها عقلك عنك أو مفتوحا لو كنت تستحضرها، مازلت أبحث في قبوه هذا عن الباب إلى أن رأيته بابًا بعيدًا مخفيًا مواربًا، باب مخفي و موارب!

هذا الرجل يفكّر في أشياءٍ ليست سعيدة على الإطلاق، أشياء دفنها لكنّه فشل.!

فتحت الباب لأرى طفلًا لم يتعدّ الثانية عشرة من عمره واقفًا على سرير شبه عاري ،وأمامه سيّدة في عقدها الرابع تنظر إليه و...خرجت من هذا الباب،لا أحتاج أن أعرف المزيد لقد فهمت كلّ شيء،حتّى كلّ ما تفكر فيه بشع ومريض أيّها "السيكوباتي" عدو المجتمع ،أو عدو المجتمع النّسائي فقط!.اغتصاب ثلاث فتيات وقتل واحدة هذا ليس بشيءٍ؛ لتفخر به أمام نفسك.هذا شيء يجب أن تُعدم عليه أيّها المسخ. هناك شرطي جالس في هذا المكان – طبعًا أنا لا أستمتع بقراءة أفكار النّاس من حولي أو اختراق عقولهم – سمعته يتحدّث أكثر من مرة مستخدما صيغة "يا فندم" و "سأتحدّث إلى الرّائد "طلعت" بهذا الخصوص" ؛لذا فهو شرطي؛ أطحت قدح القهوة الفارغ بيدي ؛ليطير و يتفتّت في الشّارع ويأخذ انتباه المارين، وخصوصًا الاثنين المنشودين، و أسرعت إلى هذا الشاب – نعم هو شاب رغم مظهره الضّخم – قائلًا في عجل :" يجب أن تصدّقني في كلّ ما أقول ،ستقع جريمة اغتصاب أو قتل" نظر لي في عدم فهمٍ وحيرة ،"هذا الشاب ذو البذلة البنيّة التي أمامه، تلك المومس سوف يغتصبها و الاحتمال الأكبر أن يقتلها بعدها ،فهو لم يقرّر بعد.! اغتصب أربعةً ،و قتل منهنّ واحدة

وستجدون خصلات من شعرهنّ في برطمانات يخبئهم في حمّام منزله"؛ الشعر هذا كلّ ما كان يظفر به وهو صغيروكبر،وظلّت تلك العادة هي ما تُشعره بقوته ،وسيطرته ونجاحه- لقد دخلت أبوابًا أخرى قبل خروجي من عقله أعترف بذلك-.

وجد هذا الشّرطي الجديّة على وجهي ،فقام من مجلسه ليعترض طريقهما وطلب بطاقاهما ،وإذ به يقول:" سلوى فتلة! يا محاسن الصّدف،وأنت شريكها؟"همّ المسخ لقول شيئ، فقاطعه الشّرطي:"شكلك يقول كذلك" ؛ الغريب أنّي لم ألحظ عربة الشّرطة الواقفة على بعد ثلاثة أمتار من المكان الذي أنا فيه ،وهذا الضّابط الآخر الواقف عند العربة أشار له الضّابط الذي استوقف الاثنين ،وسلّمهما له ليضعهما في"البوكس" والتفت لي قائلًا: "أتعرف يا شريف ،لو كنت مخطئًا بشأنه سوف أحجزك مكانه".شريف؟! كيف عرفني! ،ثمّ استطرد:" شريف رمزي، مدرسة سان مارك".الدهشة ارتسمت على وجهي مليًا ،فأنا لم أقابل أي Telepathic حتّى الآن، أأنت مثلي أم ماذا؟! ،ثمّ أكمل في تعجّب:" خالد الدّفراوي يا بني ". "خالد"!! الآن أفهم، "خالد" هذا المشاغب الذي كان معي في المدرسة أحد الفتية الذين أخذوا حجزًا بسببي -ولم ولن يعرفوا-؛لازلت كما أنت ضخمًا أسمرًا محبًّا للسّلطة و التسلّط،

ثمّ تبادلنا الكروت الشخصية؛ لأنّه على عجلة من أمره.

اليوم التالي كلمني مصعوقًا ممّا عرفوا من الشاب وما وجدوه في حمّام منزله، فلقد تكلّم الشابّ بكلّ فخرٍ وتفاخر بما فعله، وأيضًا تلك "المومس" هي ليست كذلك،إنّما هي طعم لعصابةٍ تستدرج الرّجال الظّاهر عليهم الثّراء إلى منزلها، ويقومون هم بالباقي. شكرني أنا وعفريتي - الذي أعلمني كلّ هذا - وأصرّ أن نتقابل لأحكي له كيف عرفت كل ذلك !،ولنحتفل معا بضرب عصفورين بحجرٍ واحد!.

• • • •

منذ ذلك اليوم صرنا أصدقاءً أنا و"خالد. اليوم التّالي تقابلنا عنده في سراي النّيابة ،فهو الآن وكيل نيابة بسبب نفوذ "الدّفراوي باشا" المستشار والده الذي عيّنه بوسائطه بعد أن حجز مقعد الخامس على دفعته في "كلّية الحقوق"،وبالطّبع أطلعته على سرّي وإلّا كيف عرفت كلّ تلك المعلومات إذ ما كنت شريكًا لأحدهم؟! وبالطّبع لم يقتنع إلى أن برهنت له مواهبي عمليًا على ذهنه ،وعلى كوب الشّاي أمامه...

و هذه بداية أخرى.

***

أحمر

اللّون الأحمر يسود المكان؛يرتفع عن الأرض بضعة سنتيمترات ،و بدأ يتحدّث...

***

توفيت زوجة عمي في أحد أيّام شهر "سبتمبر" ؛لذا فكان أبي يتردّد عليه من حينٍ لآخر لكنّه لم يكن يحتاج أحدًا مواساته أو الاعتناء به ،فهو يخرج مع أصدقائه يجلسون على القهوة شبه يومي، ولقد رأيته على شاطئ البحر ذات يومٍ يستمتع بالمياه الباردة والبهجة على وجهه ،كأنّها ليست زوجته من توفّت منذ أيامٍ ليست بالكثيرة!؛ شاب في منتصف عقده الثّالث يتزوج من امرأة تكبره بعشرة أعوام على الأقل من الواضح جليًا سبب هذه الزّيجة، لكن يجب أن يكون عندك بعض الحياء يا عمّي العزيز.!

دخلت من باب منزلنا ذات يوم عائدًا من عملي وجدت أبي يتحدّث إلى أمّي ،وصوته به نبرة عصبية شديدة يحدّثها عن أخيه الصّغير غريب الأطوار ،ويقطع حديثه برشفةٍ من الشاي، ثمّ يستكمل حديثه عن جنان أخيه وشطوط عقله، لقد أتى بوسيطٍ روحي ؛ليتواصل مع روح زوجته المتوفّاة ،ليعرف أين خبّأت تلك الشّمطاء أموالها و صيغتها قبل وفاتها ،وتركت له

الفُتات ليعيش به؛ لهذا لا أراه هذه الأيّام جالسًا على القهوة، أو حتّى يأتي إلى الشاطئ ؛ليسبح و يغازل الفتيات كما كان يفعل منذ أيّام. إذن لنلهو قليلا! سأكون مسرورًا جدًا بكشف حقيقة هذا الدّجال؛ مواهبي وقدراتي علّماني ألّا أستخفّ بأيّ شيء مهما كان تافهًا، هناك وسطاء روحيون حقيقيون،فال (Mediumship) أو "الوساطة الرّوحية" هي إحدى القدرات في قائمة القدرات النّفسية والذهنية ،ولكنّي أشكُّ في كلّ شيء من ناحية عمّي هذا ،ولقد حمّسني للذّهاب أكثر "شحوب أبي" عند عودته من إحدى تلك الجلسات وظل يردّد: "الموضوع حقيقي، شيء لا يوصف إنّه حقيقي كقرص الشّمس"، لذا اتّفقت معه أن أحضر جلسة الغد.

واقفان أمام باب شقة عمّي فاستقبلنا على عجل ،وإن تبيّنت في عينه دهشةً واضحة لتواجدي، دخلنا غرفة صغيرة من غرف هذه الشّقة الواسعة المليئة بالحجرات. اختلاف الطّقس جعل جسدي يقشعرّ أثناء دخولي تلك الغرفة، في الخارج أجهزة التكييف تعمل جميعا ؛لكسر حرارة "سبتمبر"- الذي أصبح في حرارة "أغسطس" هذه السّنوات - و في تلك الغرفة كأننا في "فرن صهر المعادن"!، أغلق الباب وراءنا و جلسنا حول منضدة مستديرة أنا، أبي، صديق عمّي، وعمّي و في وسطنا الوسيط المزعوم ،وحولنا اللّون الأحمر يغلّفنا و يحاصرنا من جميع الجهات، لا أدري لماذا هذه الإضاءة بالذّات؟! لكنّها

أكيد لازمة للاستعراض.طلب منّا الوسيط غلق تليفوناتنا المحمولة جميعًا ووضعها على المِنضدة!!.

بدأت الجلسة،الصّمت يخيّم على المكان،والوسيط في وسطنا مغلقٌ عينيه كمن غاص في النّوم،الكلّ ينظر في ثبات إلى اللامكان ،وأنا أنظر للجميع في استهجانٍ وترقّب لما سيحدث، ولكن اللون الأحمر هذا!..بدأ الرجل بغمغمةٍ غير مفهومة، واللّون الأحمر يسود المكان،يرتفع عن الأرض بضعة سنتيمترات و بدأ يتحدّث.. صوته كان غريبًا ،لكنّه لا يحرّك شفتيه! صوته يرنو في أرجاء الحجرة أو صوت الروح تنطق عنه:"أنت تعرف ما فعلته يا محترم، لن تجد ما أنت باحثًا عنه، لن تجده مهما فعلت ولن تنعم بشيء ممّا أنت باحثٌ عنه ".نزل الرّجل إلى الأرض مرّة أخرى متعرّقا لاهثًا ،أما أنا ففي ذهولٍ تام ممّا رأيت وحدث أمامي الآن جعلني ذلك أفقد النطق وُ التفكير!أثناء خروجي ظللت أفكّر فيما حدث لكن شيئًا واحد استوعبته أنّي خرجت من الطّوفان الأحمر ،والحرارة التي كادت تصهر جميع خلاياي،ثمّ إلى الصقيع ،ثمّ إلى الخارج وآخيرًا إلى منزلي؛ ذهولي جعلني أُشل ذهنيًا ،و لم أستخدم آيًا من قدراتي لأعرف الحقائق، لكن هذه الجلسة تركت فيَّ عدّة تساؤلات ،والجلسة القادمة خلال خمسة أيام.

طوال هذه الفترة ظلت أفكّر في تساؤلاتي التي تَرَكَتها المرّة السّابقة؛ الضّوء الأحمر، التليفونات المحمولة، الصوت الغريب، الوسيط، حتّى كلامه فصّصته. إما أنّ هناك خدعة ما ،أو هذا وسيط حقيقي. لكن.. لحظة! Vent.كشفتك يا ابن ال (...). الآن عليَّ إجراء مكالمتين.

• • • •

ذهبنا إلى شقة عمّي في اليوم المحدّد وكان معي ضيف هذه المرّة،"خالد"،قدّمته على أنّه مهتم بأشياء وأمور ما وراء الطبيعة،وصديق لي قبل كلّ شيء.دخلنا جميعا "فرن صهر المعادن" واحدًا تلو الآخر حتّى ابتلعنا اللّون الأحمر!، هناك جلسنا كما كنّا المرّة السّابقة ،ولكنّي بعدت بعض الشيء عنهم، أفهمت "خالد" الوضع حتّى لا يُفاجأ أثناء ارتفاع الوسيط في الهواء ويكشفنا فهو رغم تسلّطه وجبروته قابل للتصدّع في أيّ لحظة؛ نفرت من عمّي عندما دخلت عقله وقرأت أفكاره، و تأكّد لي من أين أتاني الإحساس بالمكر في المرّة السّابقة، يبقى لي كشف الحقيقة. أنظر في ساعتي كلّ ثانية – على ما أعتقد –؛ بدأنا القصة ذاتها "التليفونات المغلقة على المنضدة" و "الضّوء الأحمر" الذي يغمر روحي وينتشر في جميع خلاياي، "السّكوت" الذي يصمّ الآذان. الوسيط ساكت

كقبر، ثمّ بدأ بالغمغمة و يرتفع عن الأرض بضع سنتيمترات، وابتدأ يتحدّث هذا الصوت الغريب القادم من الأبعاد المجهولة، أنظر لساعتي مرّةً أخرى ،وأستمع إلى ما بدأ أن يقوله ،وأركّز نظري عليه:"مازلت على عهدي بك لا تنظر إلّا تحت رجليك أيها الضّرير. لن تجد..."هنا قمت كالملسوع بعدما نظرت في ساعتي وقفت ناحية الوسيط الطّائر ،وأخرجت "موبايل" من جيبي وضعته بـــجانبه ،وهنا بدأ الأزيز الشّهير عندما تضع تليفونك المحمول بجانب سمّاعات الكمبيوتر أو التلفاز،هبط الوسيط إلى الأرض متعرّقًا غير لاهث هذه المرّة لقد عرف أنّ فقرة التمثيل لن تجدي الآن، و في حركة تمثيلية قفز "خالد" مشهرًا مسدّسه سادًا الباب مستخدمًا جسمه العريض في ذلك: " لا أحد يتحرّك" كانت هذه منه إضافة لطريقته التّمثيلية التي يتعامل بها مع الموقف.

"الأخ صديقك المبجّل" قلتها لعمّي مشيرا إلى صديقه " أجّر هذا الدّجّال لمص دمائك،واستتراف أموالك في تلك الجلسات. و لم تكن لتعرف شيئًا عن أي أموال ؛لأنّه ما من شيء يعرفه الوسيط المزيّف هذا، بالتأكيد صديقك يعرف بما تناديك زوجتك "يا محترم" أليس هو من رشّح إليك هذا الوسيط؟ أليس هو من أتى به ليحلّ لك معضلتك؟ "

ساد الصّمت هذه المرّة ،ولكنّه صمت الصدمة لا صمت

الترقّب،فاستطردت مشيرًا إلى الوسيط قائلًا:الأستاذ Ventriloquist فنّان بارع في التحدّث من البطن،لن يمكنك أبدًا أن تقرأ أو ترى شفتيه تتحرّكان،وما لا تستوعبونه، لكنّكم شاهدتم قدرته على الطّيران الTransvection التي هي خدعته الكبرى" .ثمّ مددت يدي تحت قميصه ؛لأظهر لهم ميكروفونًا صغيرًا متصلًا بسمّاعات صغيرة تحت كتفيه متّصلين الثلاث بجهاز يُشترى من الخارج للّعب بالصّوت في وسط دهشة كبيرة من الجميع. هذا الرجل يستخدم كلّ الحيل الممكنة في الVentriloquism[§] (فنّ التحدّث من البطن) فمهما كان الارتفاع عن الأرض مشتِت لكنّه يجذب الأنظار إليه ؛لذا يأتي دور الضّوء الأحمر لون كئيب يغلفك ويبتلعك،ثمّ لعبته الكبرى وهي "الصوت" الغرفة الصغيرة و المعدّات التي تساعده، وتجعل الصّوت يغلّفك و يأتي من جميع الاتجاهات.

أتى شرطيان إثر مكالمة من "خالد" لهما حسب خُطّته الموضوعة ،وأخذا الفنان وشريكه؛ كاد يفضحني"شرلوك هولمز" عصره أثناء إشادته بعفريتي لكنّها مرّت بسلام. نظرت نظرة

[§] **Ventriloquism** : الكلمة مشتقة من اللاتينية (**venter**) بطن و (**loqui**) تحدث، هناك كثيرين ممن اتخذوا التحدث من البطن مهنة، بدأ الأمر بجوزدي (متحدث من البطن) و معه الكثير من الدمى لكن الأب الروحي لهذه المهنة (هذا الفن) هو**Edgard Bergen** الذي برع في هذا المجال باستخدام دمية واحدة بدلا من العديد من الدمى و اتخذ هذا المنهج كل المتحدثين من البطن فيما بعد و اصبح هذا الشكل المعتاد و الرائج لهذا الفن.

وعيد وكره لعمّي ،ثمّ أخذت والدي من يده مقاطعًا إيّاه عن مواساة أخيه – عاثر الحظ! – و نزلنا.

في الطّريق تحدثت إلى "نادر" شكرته على مكالمته التي أتت في موعدها ،ومساعدته ،و إلا كان خرب كلّ شيء. بقي لي أن أعترف أنّه رغم كلّ شيء هذا الرجل الطّائر فنانٌ بحق ومبدع.

***

بقلم: أحمد بدر

الروليت

في أحد البنايات تحت الإنشاء التي توقّف بناؤها بسبب المخالفات، يقف رجلٌ أصلع خلفه خمسة من المسجّلين خطر، وأمامه رجل مرتعب ،ويبدو عليه القلق أكثر من الرّعب؛ ينظر الأصلع إلى المسدس في يده واسطوانته التي تدور و يتمتم: " ١٦,٦٧ % " ،وفي حركه سريعة من يديه وجّه المسدّس إلى الرّجل المذعور أمامه ،وقد رجعت الأسطوانة إلى مكانها إثر حركته تلك وينظر من فوق مسدّسه إلى الرّجل المذعور، يجذب المطرقة فتدور الأسطوانة للخلية التالية، لمعت عيناه فجأة وقال:"١٠٠% " ،وهو يضغط على الزّناد فخرّ الرجل الواقف أمامه صريعًا واختفت من على وجهه أي ملامح؛ نظر إلى تلك الجثّة ثانيتين قبل أن يلتف - يدور - ويذهب مبتعدا مرجعًا مسدّسه إلى مخدعه مرّةً أخرى ،وتبعه الخمسة المسجلين خطر.

في صباح اليوم التالي وجدت الشرطة جثّة موظف بإحدى شركات الأوراق المالية مقتولًا في إحدى البنايات تحت الإنشاء برصاصة في رأسه ،ولم يُعرف من الجاني بعد إلا أنّه قد أسفرت التحرّيات عن رسم ملامح لرجل من المعتقد أنّه القاتل حسب إدلاء حارس عقار مجاور بأوصافه؛ لتشككه فيه أثناء حومه

حول المكان نهار وقوع الجريمة ،حيث إنّها نفس الأوصاف لنفس الشّخص في جرائم أخرى.

"حسين"رجل عريض المنكبين مفتول العضلات ملامحه أوروبية - شرقية دائمًا "حليق الشعر"،ويلبس الملابس الكلاسيكية و لا يبدّلها أبدا مهما كانت الظّروف أو المكان، في الشّتاء دائما على كتفيه معطف طويل مهما كان الطّقس. عمل حارسًا شخصيًا في الماضي،ودائما ما كان الأفضل في هذا العمل ؛لذا قرّر ربّ عمله ترقيته، لم يصعق مما طلب منه - أو رقي إليه - فكانت دائمًا تلك النظرة الخاوية مرتسمة في عينيه، و ملامحه الباردة القاسية لا تظهر شيئًا.

قاتل أجير لحساب "المافيا" قد أصبح "حسين"، نعم هي المافيا بمفهومٍ مصري، يقتضي عمله على ' التنظيف ' تنظيف الصفحة البيضاء التي تظهر عليها النّقاط السّوداء - أو العكس هو الصحيح -. قواعده مقدّسة من يخرقها يحكم عليه بالموت الفوري، صديقه الوحيد مسدّسه من طراز Colt Python

ذو الاسطوانة الدوّارة التي تحمل حتّى ست طلقات ،ويعمل بنظام الحركة المزدوجة** ؛ويتبعه دائمًا خمسة من المسجلين خطر

** الحركة المزدوجة: يعمل المسدس بضغط الزناد فقط أو بسحب المطرقة و ضغط الزناد لتنطلق الرصاصة عكس الحركة الأحادية التي يجب معها سحب المطرقة أولا ثم ضغط الزناد لتنطلق الرصاصة.

خطر ؛ ليقوموا بالأعمال القذرة بدلا عنه.

وجهته اليوم إلى موظّفٍ خائن في منظمتهم التي لا تقبل دخلاء بينها، أخذه إلى الخلاء بعيدا عن أيّ منطقة مأهولة ألقاه على الأرض بدون أيّ كلمة؛ أخرج مسدسه وأخذ طلقةً من جيب معطفه ،ووضعها في الأسطوانة أدارها و بحركةٍ خاطفة أرجع الاسطوانة مكانها ،وأشهَر المسدّس في وجه الخائن ولأول مرة بدأ يتحدّث :"سوف نلعب لعبة بسيطة سويّا، "الروليت الروسيّة"، لعبة الحظ الانتحارية؛ كلٌّ منّا لديه ثلاث محاولات إما أن تقضي عليَّ أو أقضي أنا عليك، أي خطأ أو حركة بطولية سوف يتولّى الخمسة التسلية بك"،وتمتم " ١٦,٦٧% "، وضغط على الزّناد لكنّها فارغة فأطلق الخائن المذعور زفير طمأنينة لم يشعر بها من قبل ،ومدّ يده لأخذ المسدس لكنّ الأصلع أعاد تدوير الأسطوانة قبل أن يعطيه المسدس قائلًا:" هكذا نبقيها عادلة؛ الاحتمالات هي ٦/١ لكلٍ منا ،و إنس الثلاث محاولات " قالها و هو يبتسم ابتسامةً باردة و .. تلك .. فارغة. أخذ "حسين" المسدّس مرّة أخرى و بدأ في تدوير الاسطوانة ،وقال في حدّة و هو يضغط على الزّناد:" ١٠٠%! " ثمّ ترك الرجل في الخلاء و ثقب نازف يستقرّ في منتصف رأسه.

في يومٍ من الأيام كان "مازن" الموظّف النّشيط في شركةٍ من شركات الأوراق المالية بصدد عقد صفقة الأحلام، فلقد أتاه رجل بدين (سمين) ثري يلبس الخواتم في ثلاث أصابع من كلتا يديه يدخّن السّيجار الكوبي ،وعلى وجهه ابتسامة ماجنة ،منذ شهرٍ تقريبا عقد معه صفقة الأحلام تلك التي لا يمكن تفويتها، فقطْ يسرّب له معلومات عن الأسهم وحركة البورصة من خلال منصبه الحسّاس الذي يشغله مقابل مبلغٍ فلكي لن يراه أبدًا طوال عمله لسنوات،لقد فعلها من قبل لإحدى الشركات المنافسة ،فارتفع سعر أسهمها أضعاف ما كانت عليه لكن مبلغ اليوم أكبر و أكثر بكثير. اليوم هو بصدد تسريب خبر أكيد عن هبوط مؤشرات بعض الشركات لهذا الرّجل السّمين والذي سيدر عليه الكثير من الأموال؛لذا فهو جالس ممسكًا بظرفٍ به المعلومات وفي انتظار عميله –فالرّجل عميل في تلك الشّركة – في هذه الأثناء دخل رجل أصلع يداري صلعته بقبعة،ومعه خمسة يتْبعونه شكلهم مريب إلى مقر الشركة ،واتّجه إلى مازن أعطاه الكارت الشخصي للرّجل السمين على ظهره مكتوب أن يتبعه ويسلم إليه المعلومات ،فتبعهم "مازن" إلى شاحنة ركبوها جميعًا وانطلقوا الخمسة ،و"حسين" الذي خلع قبعته التي كانت تداري وجهه أكثر من رأسه نفسها و معهم "مازن" المعصب العينين.

أطاح به "حسين" على الأرض المفروشة بالحصى وأشار إلى أحد الخمسة بأن يفكّ العصابة من على عينيه، فتح "مازن" عينيه ؛ليجد أنّه في مكان مهجور، أحد البنايات المتهدّمة، قال له الأصلع وهو يتطلّع إلىً أسطوانة مسدّسه التي تدور:" لم أقتل بريئًا من قبل لكن من أجّرني لا يحب الشرطيين إطلاقا أيها المقدّم" فهَمّ لقول شيء لكن استكمل "حسين":"أكيد أنت تعرف الروليت الرّوسية أيها المقدم فليس عليَّ تعريفها ،لكن يبقى أن أقول لك:"إنّ الاسطوانة تدور بعد كلّ ضغطة زناد لتكافؤ الفرص في الموت وأي حركة غادرة أو بطولية ستجعل أحد هؤلاء المسوخ يتولّون أمرك " اعترض أحدهم على كلام رئيسهم فنهره بأقذع الكلمات والوعيد،وبحركةٍ خاطفة وسريعة كان قد أرجع الأسطوانة إلى مكانها ،وضغط الزّناد وهو غير ملتفت للواقف أمامه ،فجاءت الإجابة من المسدّس بـــ فارغة ،فأدار الأسطوانة وأعطى المسدّس "لمازن" و.. فارغة أيضًا؛ ظلّا هكذا عشر مرات لكلٍّ منهما لم يمل أحدهما لكن الإصرار يزيد مع كلّ مرّة. المسدس هذه المرة مع المقدّم "مازن" الذي يقول: " ٩٩,٩% "،ولم يطلق الرّصاصة ،ولم يتحرّك "حسين" من مكانه أيضًا لكنّه فجأة ضغط الزناد.هناك ثقب بين العينين كأنّهما التحما معا و سقط جثّة هامدة؛ كان هذا من اعترض على كلام الرّئيس "حسين" منذ قليل فهاج الأربعة

الآخرين وماجوا، وبدؤوا يتحرّكون صوب "مازن" للتخلّص منه، لكن هذا خرق للقاعدة الأولى من قواعد "حسين" ،وهي " لا تتحرّك إلا عندما آمرك بالتحرّك " فسحب خنجرين من سترته تحت المعطف الذي أُلقي في الأرض،وانهال ذبح في الأربعة. الأول قطع له شريان بالرّقبة ،وباليد الثّانية كانت الطعنة لآخر من أسفل الذّقن،فسحب الخنجر وانهار الدّماء بدأت تنسال، الثالث رشق في قلبه خنجرًا ،وسحبه لتفيض الدّماء عليه ،ويصطاد به الرّابع الذي خيّل له أنّه سيتمكن من الهرب ؛ليستقر في رجله و يقع على الأرض محاولًا الزّحف، فالتقط "حسين" معطفه من الأرض واتّجه نحو الزّاحف هذا ليسحب الخنجر ويضعه مكانه وهو يدوس برجله على مكان الجرح، وينظر لهذا الكائن المتلوّي ألما ويريحه من آلامه؛ ثمّ التفت إلى مقدّم الشّرطة وقال :" لعبت تلك اللّعبة طوال عملي هذا ؛لأعرف اليوم الذي أستريح فيه من كلّ هذا الرماد، جاء ولكنك حدثه عني ،وأنا مازلت هنا فافعل ما كان مقدّر حدوثه " لكن رد "مازن" كان آخر ما توقعه ردّ بدون كلمات ردّ إليه مسدّسه ،وأشار له بالذّهاب. فذهب "حسين" من هذا المكان جريا لكن قبلها شكره،وشاهده "مازن" يختفي لكن فجأة تردّدت في السكون صدى حسين :" الكارت معك ."

أخرج "مازن" الكارت الذي أعطاه له "حسين" في بداية مقابلتهم ؛ليفهم مقصده من " الكارت معك " إنه اسم الرّجل بالكامل إنّه اسمه الحقيقي؛ ابتسم و مشى من هذا المكان ،وهو يبتسم أكثر وأكثر و يلعب بخيطه الذي سيوقع تلك العصابات.

***

عيد الميلاد

تمعّنت النّظر بها، امرأة جميلة شعرها مبعثر في كلّ مكان كأنّ هناك هواء يداعبه...

***

خرجت أنا و"نادر" و"طارق" في هذا اليوم العادي للغاية لكن بروحٍ مختلفة فاليوم هو "عيد مولدي"، ذهبنا إلى القهوة لعبنا "الدومينو" ثلاثتنا ،وتمشّينا في المدينة على أرجلنا حينا، وفي سيّاراتنا حينًا آخر على الكورنيش، عفوًا في سيارة "نادر" ثلاثتنا ؛لأنّهم أصرّوا ألا أسوق اليوم وأرتاح في يومي الخاصّ هذا ،والآخر ترك سيّارته وركب معنا.

يوم عادي بكلّ المقاييس ،لكن في نظري لم يكن عاديًا على الإطلاق،فأنا مع من يحبونني بصدقٍ يحتفلون بي كلّما استطاعوا ذلك. لم أعهد هذه الفرحة منذ عامين ،فأنا من مواليد "برج الدّلو" أي قريب جدا من يوم الحادث المؤسف، يلقبونني بالمجنون بسبب برجي هذا! لا أعرف لماذا أخذ هذه السمعة؟! ' برج المجانين والعباقرة ' إنه برج "موتسارت وروزفلت وتوماس إديسون وداروين"، أيضا "جاك نيكلسون و كريستيان ديور و.. نبيلة عبيد"! إنّه فعلا لبرج يضم عددًا من العباقرة والمجانين ،لكنّي لست بعبقري ؛لذا من الممكن أن أكون في

الحزب الآخر.

عدنا إلى منزلي الجديد المطلّ على شاطئ البحر،كان هذا بمثابة هدية منّي لنفسي! تسلّمته منذ أسبوعين فقط، فأنا أجني الكثير من عملي وخارج عملي - حمدا لله - لم أفشل في أيّ تصميم صمّمته حتّى الآن ،فأنا استخدم مواهبي في ذلك أعرف من الشّخص تحديدا ما يريد أنفّذه وأصبغه بلمساتي الخاصّة؛ هذا وفّر لي عملًا خارج الشركة أيضا ،فهناك أناس تطلب منّي تصميمات لمحلّات أو إعلانات ،أو حتى عمل لوحات،فأصبح لديَّ عملاءٍ داخل و خارج الشركة عوضًا عن أنّي أرسم لوحةً من لوحاتي الغريبة التي دائمًا ما أضفي عليها لمسةً فنية مختلفة في كلّ مرّة، وأبيعها بسعر جيد،غير أنّي لم أحمل همّ المواصلات فقد أهداني والدي مفاتيح عربتي - التي هي معي الآن - العام الماضي ؛لذا فحياتي ميّسرة بشكلٍ كبير ماديًا.

فتحت باب الشقة و دخلت قبل صديقيّ وفوجئت بأنوار المنزل كلها تضاء مرّة واحدة وكلمة واحدة خرجت من أكثر من عشرين فم بدت كأنّها من مصدر واحد ' Happy Birthday '؛وقفت ثاغرا فاهِ في دهشة رغم أوراق الزّينة التي يقذفها "رالف" من المسدّس الذي في يده ،واثنان آخران يرشّان المكان كلّه بهذا الفوم الثلجي وشرائط الزّينة، لم أكن

أدرك شيئين من أين أتى كلّ هؤلاء؟ ووجود "رالف" الذي أصبح دائم الإقامة في "القاهرة" بسبب ظروف عمله. منزلي يعُجّ بالبشر..أصدقائي الثّلاثة، وزملاء من المدرسة ومن الجامعة وأيضًا زملائي في العمل،والأغرب كان وجود "النّادل" الذي سرق حافظة نقودي في حفلة "القاهرة" - المشئومة - يخدم ويوزّع الشّراب من كلّ نوعٍ على المدعوين ونظر لي في حياء وعرفان، وقد لاحظ ثبات نظري عليه وتأمّلي إياه فابتسم لي واستكمل عمله. شكرت الجميع في خجل و تلجلج ،لم أعرف ما أقول بالضبط لدهشتي من "شريف" الذي لا يعرف أحدًا، واتّضح أنه يعرف الكثيرين ؛لذا تمنّيت للجميع قضاء وقتٍ ممتعٍ وسهرة تدوم في الذّاكرة، واتجهت ل"رالف" لأشكره و أتحدّث معه قليلا عامة،وكثيرًا بخصوص هذا الحفل؛إنهم لماكرون بالفعل لقد أعطيت كلّ واحد منهم نسخة من مفتاح شقتي فأنا وحدي وهم مرحّب بهم في أي وقت و كل وقت؛لكنّهم دائمًا يتّصلون ليستأذنوني قبل مجيئهم لكن هذا الماكر بالاتفاق معهما أتى،ووضب كل شيء ،وقد دعوا هذا الحشد الكبير من النّاس الذي لم أعرف من قبل أنّه يعرفني أو يتذكّرني!أودّ أن أشكرهم كثيرًا الآن لتلك المفاجأة الأخرى فها هم والديَّ أتوا للاحتفال معي ،فالآن تكتمل سعادتي بوجود كلّ من يحبوني، إنّه المفتاح الذي عرفته وتحقّق لي ،ففي تلك الحياة نحن نقاط سوداء على

ورقة سطورها ضيّقة تشكّل "نوتة موسيقية" تعزف لحن الحياة، وكلٌّ منّا مفتاح من المفاتيح الموسيقية،ومن يعرف نوع مفتاحه عرف ما أراد في تلك النّوتة؛أنا أردت الحبّ والدّفء ووجدتهم ليس في فتاة - فالحبّ ليس هذا النوع فقط - إنما في أصدقائي هؤلاء وأهلي،وبدورهم أعطوني السّعادة و الرّضا أيضًا.

أتى وقت إطفاء الشّموع وتمنّي الأمنية،أغمضت عيني ولكنّي لم أتمن شيئا زائدا فقط شكرت خالقي على أصدقائي ووالداي وقدراتي ومواهبي وأطفأت الشّموع؛ قبل نهاية السهرة كانت فقرة الهدايا، زملاء العمل أعطوني هديةً واحدة باسمهم جميعا تضم "جهاز لاب توب"،ومعه اسطوانة أصلية لآخر إصدار من برنامج فوتوشوب (Photoshop) - وبالمناسبة كان من بينهم العميد صديقي الذي كان له الفضل في توظيفي - وهناك من أهداني معدات رسم،وبعض زملاء المدرسة أهدوني تي-شيرت (T-Shirt) فرقتي الموسيقية المفضلة وآخر اسطوانة لهم - التي هي عندي -، "رالف" أهداني "قطعة نحتية قديمة" ،واشترك "طارق" و" نادر" في هديتهما التي هي جيتار إلكتريك - كهربي - لطالما أردته و هو ا"لجيتار الرّوسي" ذو السبعة أوتار،وأحد زملاء المدرسة أهداني بوسترات وملصقات لـ "ثور" (Thor) و معهم سي-دي (CD) عليه أفلام الكارتون الخاصة به! حتى أشرف النادل اخترق الجمع وظهر في يده علبة فخمة بها ١٢ اثنا عشر سيجارة.

انتهى الحفل و السّهرة التي لن أنساها أبدًا، شكرت الجميع على ما فعلوه من أجلي وعلى الهدايا القيمة تلك ،وعرضت على الزّميلات أن أوصلهن ؛لأنّ الوقت متأخّر لكن هناك من يذهبن معه. انتهى الحفل وبدأ التنظيف والترتيب - الخفيف - حتى انتهينا من معظم الأشياء ونقدت "أشرف" بعض الأموال نظير تعبه وسفره كلّ هذه المسافة مع "رالف" من أجلي، فكان هو هدية رائعة بالفعل.

مر أسبوع على تلك الحفلة المفاجئة التي أقيمت في منزلي، رجع "رالف" منذ يومين إلى "القاهرة" ،وقد قضى عندي وقتًا أكثر مما قضاه مع أهله،وشكرته قبل سفره على هديتيه. دخلت شقّتي بعد عودتي من عند والداي فقد عرجت عليهم بعد أن أنهيت عملي لآكل معهما، كان يومًا شاقًا جدًا.عميل متذبذب التفكير أحال يومي جحيما معه قمنا بإعادة الإعلان الذي كنت أصمّمه له أكثر من ست مرات! لذا دخلت غرفتي بدّلت ملابسي وارتميت على السّرير.

• • • •

والدي ممسك سكينًا في يده،ويريد قتل أمّي سمعت هذا وأنا في غرفتي القديمة، الصّراخ والعويل اللذان يصمّان الآذان يلتفّان حولي من كلّ صوب كأنهم من لحم و دم،ودخل "نادر" فجأة كاسرًا باب المنزل وعينيه ينطلق منهما الشّرر ويهددني بالقتل.

ما هذا الزحام؟، ما هذه الفوضى؟ لماذا يحدث ذلك الآن؟ لماذا انقلبت حياتي جحيمًا هكذا؟؟! و أنا غارق في تساؤلاتي رأيت "نادر" ينقضّ عليّ كفهد ينقض على فريسته.

• • • •

صحوت مفزوعا من نومي لا أفهم ماذا هنالك،إنها المرّة الأولى الذي يحدث هذا لي،إنّها المرّة الأولى التي تأتيني فيها الكوابيس.قضيت بقيّة اليوم طبيعيا لم يشغلني هذا،فالكلّ معرض للكوابيس في يوم ما رغم واقعيته الشّديدة ،لكنّه يظل حلمًا شريرًا.

نمت في الليل نومًا هادئًا هانئًا كما الأطفال،ثمّ في اليوم التالي أتاني نفس الكابوس مرّة أخرى بنفس الأحداث ونفس كل شيء! طوال حياتي لم يزرني كابوس الآن الكوابيس تنهال عليّ؟!!وتكرّر نفس الكابوس في اليومين التاليين أيضا؛ شكوت لأمي فآتتني بال"كليشيه" المحفوظ - على ما أظن- بأنه لا يجب أن آكل كثيرا قبل النّوم،فشكرتها وأغلقت السّماعة بعد هذه الإجابة الغريبة الغير شافية.

صحوت مفزوعا اليوم فالكابوس مازال نفسه ولكن أضيف إليه " كريم " الذي انقض عليّ بشوكة كتلك التي تراها في أفلام الكارتون وملابس الهالويين،وغرسها في ظهر "نادر" الذي كان مازال يصارعني،ثمّ ضحك ضحكة شريرة ورفع الشوكة..

هذا اليوم بدأت ألحظ أن كوابيسي تلك تؤثر على بحالاتي النفسية فقد ارتفع المنبّه وساعتي اللذان بجانبي سنتيمترات في الهواء عن مكانهما؛ كوابيسي تلك سوف تدمّرني و لا أجد لها حلا :" أريد حلا " صرخت بتلك الجملة و رد عليَّ صدى صوتي كأنّما يبحث معي عن حل.

• • • •

أبي ممسك سكينًا يهدّد أمي بقتلها ،و"نادر" يدخل كاسرًا باب الشقة وينقض عليّ ،ويأتي من ورائه "كريم" صديقي القديم يغرس في ظهره شوكة ثلاثية كتلك التي تمثّل الشيطان أو الشر ،ويضحك ضحكة شريرة كأنّها نابعة من أسفل الأرض نفسها ،ويهم بغرس الشوكة بعنقي لكنّي أتفاداها وأطيح بالفازة التي تحمل وردًا أسود اللون عليه فتصيبه و يقع على الأرض؛في هذا الوقت سمعت صوت فرامل تصمّ الآذان،فجريت مسرعًا إلى النافذة لأنظر منها ما يحدث في الشارع، رأيت سيّارة حمراء تترنّح كالثمل في الشارع تخبط في كل شيء من مركَبات و أناس و بداخلها "رامي" يتأرجح محاولًا السيطرة عليها ،وفجأة تطير السيّارة في الهواء تنقلّب عدة مرات و طار منها الإطار حتى كاد أن يصطدم بي ،وأنا أشاهد من النافذة أتابعها تحلّق عاليا و نظرت تحت لأرى وجه "رامي" عليه كل علامات الفزع و الرعب...

هنا جلست على السّرير مستندا على يداي صارخا:"لاااا"،
وتصدّعت المرآة أمامي من فرط القوة النفسية والذهنية الصادرة
منّي و شبه كل شيء حولي معلق في الهواء ،واستمع إلى آلاف
الأشخاص يتحدّثون في ذهني وأرى أحداثًا كثيرةً متتالية لا
علاقة لهم ببعض، نفس الفوضى الذّهنية و النّفسية التي كانت
قبل أن أستطيع التحكّم في مواهبي.جلست لاهثًا أتصبّب عرقًا
من كلٍّ غدة عرقية في جلدي؛ أخذت لفافة تبغ من العلبة التي
مازلت تحلق في الهواء أشعلتها ،وبدأت أنفث الدّخان كأنّي
تنين أسطوري، بعد السّيجارة الخامسة كنت قد بدأت أهدأ؛
ذهبت لأستحم و أجلس في الّشرفة بعدها حتى يهدئني منظر
البحر الخلّاب الذي أعشقه ،لكنّه لم يفلح هذا اليوم.

في وسط اليوم و أنا جالس شارد الذّهن أحاول متابعة عمل
عليَّ تسليمه غدًا أتاني شخص سبق أن رأيته من قبل أعطاني
كتابًا من تأليفه - كنت قد صمّمت له الغلاف - كهدية
وسألته عن رأي النّاس في الغلاف فقال لي الآراء وجلس
يتحدّث معي قليلًا حول الكتاب عامةً و خاصة.

رجعت منزلي منهكًا والصّداع يكاد يفتك برأسي، حاملا
"اللاب توب" والكتاب في يدي ،ارتميت على السرير ومسكت
الكتاب أقلّب صفحاته في فتور ؛لكن هناك ما استرعى انتباهي
فجأة وبدأت أرجع بالصّفحات أفتّش عما جذب انتباهي حتى

وجدتها أخيرا؛ إنّها تلك الصورة ما لفتت انتباهي ،فأنا اعرفها جيدًا، ثم نظرت إلى الغلاف لأقرأ " الأساطير اليونانية خرافات و تعاليم " ثمّ رجعت إلى الصّفحة مرّةً أخرى رأيتها وتمعّنت النظر بها، امرأة جميلة شعرها مبعثر في كلّ مكان كأنّ هناك هواء يداعبه، غامقة اللون،ويظهر من بين شعرها ثعابين، اسمها "Melinoe".أخذت الكتاب وأسرعت إلى غرفة نومي الخاصّة ووجدتها، تلك القطعة النّحتية التي أهداني إياها "رالف" في عيد ميلادي، الآن أتذكّر الشيء الوحيد الذي لم يتحرّك من مكانه أثناء صحوي كانت تلك القطعة النحتية، تلك المرأة بداخل الإطار يوناني الطراز.

Melinoe[††] أو الفكرة السوداء ابنة Zeus ملك الآلهة و السّماء من Persephone ملكة العالم السفلي في إحدى مغامراته النّسائية ،عندما اتّخذ شكل أخيه Hades "ملك الأرض" والعالم السّفلي،وأغواها عند نهر ستكس (Styx)، نتيجة لذلك قد أصبحت نصف ضوء ونصف ظلام بسبب اتّحاد ملك السّماء والنّور مع ملكة الأرض والظلام عند إنجابها و أصبحت إحدى آلهات العالم السفلي.

تظهر في الليل فقط تبثّ الرّعب فيه؛ اشتهرت باستخدامها قطارًا من الأشباح ،وهذا ما يجعل الكلاب تنبح ليلا بلا سبب.

[††] **Melinoe**: آتية من (**Melas**) اسود و (**Noe**) عقل

Melinoe إلهة الكوابيس والأفكار السوداء؛أنتِ من أحلكت لياليّ وأحلتها إلى كوابيس؟!

بدون تفكير أخذت هدية "رالف" الملعونة هشّمتها ،وقذفت بها في صندوق القمامة في الشّارع، عندما صعدت مرّةً أخرى شعرت بتعب ليس له مثيلًا، ارتميت على الفراش و رحت في سبات عميق.

مرت أيام كثيرة بعدها لم تزرني أيُّ كوابيس أو أحلام عادية حتى! و عرفت من "رالف" في محادثة تليفونية بعد ذلك أنّه اشتراها من محل أنتيكات في وسط البلد في "القاهرة".

***

عيون الثّعبان

لماذا تخافني يا بنيّ؟!،

تعال إلى أحضان من يحبك.

لا تخاف اللافتة على صدري،

لا تخاف رقمي،

أنا من تبحث عنه.

لا تخاف رقمي،

إنه رقم الوحش.

قطعة من أغنية

Hexakosioihexekontahexaphobia

***

المكان هنا مزدحم والجميع يرتدون الأسود، البعض ملطّخين وجوههم برسومات غريبة كأنّهم محاربون من القرون الوسطى أتوا لإشعال الحربَ في المكان، يغلب على رسوماتهم اللّون الأحمر، شعورهم المصبوغة والمصفّفة بطرقٍ غريبة تجعلهم ككائنات جهنمية!.

اليوم حفل فريق Vrykolakas في "مكتبة الإسكندرية" ضمن الحدث الموسمي تحت شعار (Metal Night) -

الذي غالبًا ما يُلغى بسبب أحداث الشّغب أو لأسبابٍ أمنية –، إنّه الحفل الأوّل الرّسمي – محليا – للفريق بمناسبة صدور ألبومه الأوّل بعد تعاقده مع شركةٍ يونانية للتسجيلات؛ لا أحبُّ نوع الموسيقى التي يقدمونها فتشويش الصّوت، وطغيان إيقاعات "الدرامز" هما السّمة الأساسية لموسيقى "البلاك ميتال" (Black Metal) غير أنّ نوع الميتال المفضل لديّ هو "السيمفونيك ميتال" (Symphonic Metal) حيث أنّ هناك أوركسترا كاملة تعزف مقطوعات الميتال،فتضفي على الموسيقى "عذوبة اللحن الأوركسترالي وأنغام الميتال السّريعة"، لكنّي هنا لمساندة زميلين ربطتني بهما علاقة طيبة في الماضي فمؤسّسا الفريق هما زميلان من المدرسة، لقد حقّقا حلمًا كنت أحلم به في يومٍ من الأيام؛ هما الآن يصعدان خشبة المسرح مع باقي أعضاء الفريق. وسْط صرخات "ماهر" الوحشية التي تتردّد في كل ركنٍ من باحة المكتبة صيحات وهتافات الحاضرين تهزّ المكان هزًا، و يا للعجب الكثير من الحاضرين يمكنك من النّظر إليهم فقط أن تعرف أنّهم دخلاء لا ينتمون لتلك الموسيقى بأيّ شكلٍ من الأشكال أو حتّى مهتمين بالتعرف عليها يتّخذونها كتقليعة ؛ أو ليبدوا مختلفين، كتلك الفتاة التي لا تتوقف عن الصراخ أبدًا و هذا الواقف أمامي رسم على وجهه شكلًا من أشكال فريق Slipknot و يرتدي تي-

شيرت (T-Shirt) أسود ملطّخ بالدّماء مع تصفيفه شعر "تامر حسني" ونغمة هاتفه - الذي رنّ منذ قليل - لأغنية راب (Rap)! موسيقي شامل هذا الأخ من الجيّد أنّ الأمن يأخذه الآن ؛لعدم اتّباعه التعليمات بعدم إحضار أشياء حادّة.

انتهى الحفل بمقطوعة منفردة لعازف الجيتار،كلمات الأغاني كلّها سوداء تتحدّث عن الأساطير والطرق المغلقة والمصائر المبهمة المغلفة بالضباب ،ومع انتهاء الحفل أسدلت الأيادي المرفوعة بعلامة الميتال الشّهيرة التي أخذت شهرتها أكثر بسبب " جين سيمونز (Gene Simmons) " أحد أعضاء فريق (Kiss) الذي أخذ يستخدمها في كلّ حفلاته و صوره ،والتي تحمل عدّة معاني منها ":تعويذة الحسد" و"عيون الشّر" و "قرون الشيطان" و" قبضة الموت"...

***

كنت جالسًا أتأمّل الجيتار الذي حصلت عليه في عيد ميلادي حتى رنّ جرس الهاتف ؛ليأخذني من أفكاري لصوت "خالد" الذي تبيّنت فيه نبرة قلق وحدّة يريد مقابلتي فورا ،وقد بعث لي بعربة لتقلني من منزلي إليه؛ التساؤلات الكثيرة تدور في رأسي و أنا في الطّريق إليه، حينما وصلت استقبلني استقبالًا حافلًا قبل أن يتبدّل وجهه في لحظة وبدأ يتكلّم:

" منذ أسبوعين تقريبا وُجِدَت جثة في منطقة "سموحة" ملقاة في شارعٍ ناءٍ مربوطة إلى عامود إنارة بالجنازير؛ لا أثر لأية بصمات على الجثة أو حتى شهود أو دليل على الجاني كأنّه شبح ما فعل ذلك "، قاطعته نظرتي البلهاء التي تنمّ عن عدم فهم لأي شيء فسكت برهة ،ثمّ استكمل حديثه :"ومنذ ثلاثة أيام ظهرت جثّة أخرى في منطقة "بولكلي" اعتُقِد أنّها لمشرّدٍ ،ما حيث إنّه كان جالسًا وأرجله مضمومة على صدره بجوار شريط الترام لكن اتضح أنّها جثة رجل ثري "،فقاطعته قائلا : " الجثث تظهر دائمًا ،ما الجديد في ذلك؟! غير أنّك لا تتحدّث إلى طبيب شرعي!" نظر لي في ثبات و استكمل حديثه كأنّني لم أتحدّث مُطلقًا:"الجثّتان بهما نقاط مشتركة لا بصمات،لا شهود، لا دماء! فقط ثقبان كبيران على رقبة كليهما"،قلت: "لا تقل لي:" إنّك تتحدّث عن مصاصي دماء!"،وجاءني رده مع ابتسامةٍ بلهاء:" بعد ما رأيت منك و معك يمكن أن أصدّق أيّ شيءٍ يا شريف" ثمّ استطرد قائلا :" الأطباء الشرعيون حدّدوا ساعة الوفاة ما بين الثانية عشرة والواحدة صباحا، إذًا لدينا جثتان مثقوبتا الأعناق وبدون أثرٍ لدماء ،والمثير أنّ هناك رسالة من القاتل مع كلّ منهما .. تفضل"مسكت الورقتين اللتين أعطاني إيّاهما ،ولكنّها ليست برسائل، إنّهما صورتان في كلٍّ منهما عينا ثعبان.

لم أستطع أن أفيده في شيء، فأنا لست بمتنبئ أو مسنجم، وأيضًا لا وجود لمصّاصي الدّماء بهذا الشكل إلا في الأســـاطير؛ لكنّي ظللت أفكر في الصّورتين، ثمّ أكملت عملًا عالقًا وذهبت إلى أحضان السرير.

-" شريف انزل حالا أنا تحت" كان هذا "خالد" يكلّمني كالملسوع فأسرعت في ارتداء ملابسي ونزلت؛في طريقنا فهمت منه أنّها جثّة ثالثة بنفس مواصفات القتل في المرّتين الماضيتين،وكالعادة لا دلائل أو أي شيء يوقع الجاني أو يكشف هويّته، و لا يجد أمامه أيّ حلّ إلا أنا!؛ أنت عنيد عناد الترس الصّدئ يا "خالد"! أنا لم أرَ شيئًا يحدث و لا أستطيع دخول عقل شخصٍ مات بالفعل! دخلنا مسرح الجريمة ،وهذه المرّة منطقة جديدة نحن في منطقة "الظّاهرية" و جثّة جديدة أيضًا ؛فهذه المرّة جثّة فتاة، مظهرها يقول:" إنّها بعيدة كلّ البعد عن السّكن في منطقة شعبية كهذه"؛ عارية تمامًا على وجهها ملامح رعب قاسية ملقاة في شارعٍ التهمته مياه المجاري، نائمة على الأرض و الطّين من تحتها يظهرها كأميرة إغريقية نائمة على نعشٍ من قش ،وفوق عينيها لصقت نفس الأعين التي في الصّور الأخرى! هناك شيءٌ ما يشدّني أحس شيئًا لا أعرفه هناك طاقة نفسية رهيبة تحيط بالمكان أشعر بشيء

لكنّي لا أدري ما هو؛ تقدّمت ناحية الجثّة - سمعت صوت ضابط يناديني بسبّة بذيئة ؛لينبئني بأنّ عليَّ أن أحذر إذا تحركت أكثر من ذلك لكن "خالد" أرجعه إلى الوراء و ظلّ يتابعني - وقفت أراقبها هنيهة ثم مددت أصابعي في حركةٍ لا إرادية لأضعهم على عنقها مكان الثقبين.

• • • •

تخمش، تصرخ، تستغيث؛ هناك رجل واقف في الظّلام ينظر إليها في ثبات و لا يظهر منه إلّا عيناه. المكان مظلم و الإضاءة خافتة كأنّها إضاءة شمعة ضوئها متراقص يظهر بعض الأشياء؛ مقيّدة من وسطها لا تستطيع الحراك أو الفرار، مازالت تخمش الهواء، تصرخ في تلك العينين،تستغيث بجلادها؛هنا ظهر الرّجل،خرج من بقعة الظّلام ؛لكنّه جعلها تصرخ أعلى وأقوى، قناعًا يبدو حديديًا يغطّي أعلى وجهه لا يظهر منه إلا ذقنه و فمه، يلبس ملابس كاهن قديم مغطّى الرّأس يتقدّم منها و يفتح فمه كاشرا عن أنيابٍ حديدية تلمع في الظّلام يغرسها في عنقها ،وهو ممسك يديها بقوة.

• • • •

ارتميت شبرًا إلى الوراء مذهولًا مصعوقًا،ما هذه العقليّة؟ما هذا الكائن؟ مؤكّد أنّه ليس بـــبشري.بعدما التقطُ أنفاسي

قلت لخالد صارخًا "رجل.. مقنّع.. له أنياب حديدية " فهمني "خالد" وسط دهشة من جميع الموجودين - الذين هم ثلاثة بخالد - لكن "خالد" أخذني إلى منزلي سريعًا، قبل أن أذهب نظرت إلى الثّقبين مرة أخيرة، هذه ليست ثقوب ،إنّما حُفَر.!

"إنّه ال(Carotid)،الشريان السّباتي"هذا "طارق" يتحدّث إليّ " الشريان الذي يغذّي العنق والوجه والمخ بالدّماء ،ويوجد شريانان سباتيان على جانبي العنق لكن الأيسر الذي تتحدّث عنه يأخذ تغذيته بالدماء من الشريان الأورطي نفسه ؛لذا فالقطع به يعني نزفًا حادًا و موتًا ،لفقد الدم و عدم تغذية المخ بالدّم الكافي" شكرته لتلك المعلومات ثمّ تحدّثنا لفترة و أغلقنا التليفون؛ إذًا القاتل مهووس بأساطير مصّاصي الدّماء والثعابين - عيونها تحديدا - ومضطلع على أو دارس للأمور الطّبية ؛لأنّ بسؤال "خالد" عن باقي الجثث الأخرى ' العضة ' في الجانب الأيسر لأعناقهم.

هناك شيء ما غريب في هذه القضية؛ الجرائم كاملة و متقنة بشكل غريب، التضليل بنشر الجثث بكلّ مكان، القناع الذي يضعه القاتل.. علامات استفهام كثيرة تحوم حول كلّ شيء؛ لكن لدي علامة استفهام أخرى، كيف حدث ما حدث؟! كيف رأيت ما حدث؟! لم أعرف شيئًا من قبل عند لمسي أو

مسكي أيّ شيء، تُرى هل فجّرت تلك الطاقة والقوة النّفسية المحيطة بالجثة قدرة الـPsychometry (التكهن النفسي) لدي؟ أم أنّها كانت موجودة ،ولكنّي لم أعرفها ،أو أعرها اهتمامًا من قبل؛ يجب أن أشكر هذا القاتل المريض ،وأجعله يشكرني عندما يقترب من حبل المشنقة. لكن ما قلته لا يغيّر أو يضيف أو يفيد في شيء، فقط لقد قدّمت معلومة غير مفيدة في أيّ شيء بدون أية دلال أو خيوطٍ مفيدة.

مرت عشرة أيام بعد ذلك لم أستطع فيهم الاستمتاع بمشهد البحر ككلّ صباح؛ لأصحو على مكالمة تليفونية من خالد اليوم ونبرة الغضب والتوتر تغلّف صوته ينبئني بأنّه ينتظرني في منطقة "مصطفى كامل" عند مساكن الضّباط،فاعتذرت عن العمل لظروفٍ طارئة،وأن يبعثوا ما عليَّ إنجازه إلى المترل وأخذت سيّارتي واتجهت إليه؛هناك كانت تنتظرني جثّة جديدة، فتاة أخرى، أصبح لدينا رجلان وامرأتان لا تربطهم علاقة ببعضهم إلا أنّ القاتل أراد أن يجمعهم في مشرحةٍ واحدة.!

هذه الجثة ظهرت بعد عشرة أيام من ظهور الجثّة الـسّابقة! أتذكّر الآن كلامي مع "خالد" عن أحداث القضية، فالفرق بين الجثّة الأولى ،والثانية عشرة أيام ،وبين الثّانية و الثّالثة أحد عشر يوما ،وجثّة اليوم ظهرت بعد عشرة أيام، إذًا القاتـل يتّبـع

متسلسلة في القتل ؛لذا فالجثّة القادمة بعد أحد عــشر يومــا حسب ذلك، لكن أين؟! هذا هو السّؤال المهم ،ففي كلّ مرّة يترك القاتل جثّة ضحيته في منطقة مختلفة. أنظر إلى جثّة تلــك الفتاة، العارية تماما، ثقبان في الجانب الأيسر من عنقها ولا آثار لدماء أو للجاني، تقدّمت منها و وضعت أصابعي على الثقبين بعنقها؛ نفس المشهد الرجل المقنع الذي يشبه الكهنة في العصور القديمة يفتح فاه ،ويشد على ذراعيها وينشب أنيابــه و هــي تصرخ و الدم يتدفق، في هذه المرّة الإضاءة أفضل و القاتل بــه شيء مختلف لكنّي لا أدري ما هو؛ قلت كل ما رأيت لخالــد وفجأة انقضّ عليّ أحدهم، إنه نفس الضابط الذي سبّني المــرة السابقة، يصرخ و يصيح في وجهي بهستريا " من أدرانا أنّــك لست القاتل ،وأنّك تستخدم من وكيل النيابة هذا ستارا لك! " خالد واضحة على وجهه مظاهر الحنــق و الغــضب،وهذا الآخر مكملا صراخه في وجهي و توجيه الاتهامات لي وبعضها لخالد، في هذه اللّحظة كان قد فتح كل أبواب غضبي فأبعدت يديه المتشبثتين بقميصي في قوة ،وقفزت قفزة بسيطة للــوراء مادا يديّ خلفي ورفعت حجرين كبيرين كانا ملقــين علــى الرصيف خلفي ،وثبتّ نظري إليه في وضع هجــومي و تحــدٍ شرسين و ورائي حجران كبيران مرتفعان في الهواء فلحظــت الخوف في عينيه، ووثب "خالد" أمامي محاولا تهــدئتي راجيــا

إياي أن أفوت ما حدث؛ فاعتـــدلت في وقفـــتي و تركـــت الحجرين يهويان إلى مكانهما ،وفي عيني نفس نظرات التحدي اللتين تريان ضعف خصمي ورعشة يده المـــستترة، و جـــرني "خالد" من يدي جرا مغادرين المكان فبعد أن ابتعدت قلـــيلا قال هذا الضابط :" هذا الكلب ابن الكلب لا يدخل مكـــان جريمة و أنا موجود! ". تنفسك الصعداء عندما هوى الحجران أرضا و خوف عقلك ،وعينك يشيران إلى كم أنك شـــخص ضعيف تخفي جبنك في بذلتك الرسمية، ثم سمعت " آآآآه " أثناء ركوبي السيّارة، فلقد قذفت عليه حجرًا صغيرًا ؛ليصطدم برأسه كدرس صغير لتعليمه أنّي أستطيع أن أفعل به أي شيء مهمـــا بعد، فهذه سياسة ترهيبية مفيدة عامةً.

قبل أن أنام مرّت أحداث اليوم في رأسي وأحداث الأسبوع معها، الجثث ' محفورة ' الأعناق، المقنع ذو الأنياب الحديديـــة، الجثث الموضوعة بأشكالٍ فنية، هذا الضّابط المزعج الذي كاد أن يفضح سرّي لكن قلة الموجودين جعلتني أسيطر على الموقف ،فأنا أستطيع التعامل مع العقول لكن المشكلة في الجمع، ليست قوتي مطلقة لأستطيع دخول عقول جميع البشر.!

في اليوم الثّاني عرجت على "خالد" أثناء عمله و طلبت منه أن يأخذني إلى الجثتين الأولتين؛ رجلان أحدهما في الأربعينيات من عمره ،والآخر شاب في الثلاثين، لقد رأيت هذا الرّجـــل

الكبير من قبل لكني لا أعرف من هو! يا ليـــتني أســـتطيع أن أدخل أبواب عقلي، كم هذا عجيب أستطيع ولـــوج عقـــول وذكريات الآخرين و لا أستطيع مع نفسي! عند لمسي للثقبين على رقبة كليهما استطعت أن أعرف من مات قبـــل الآخـــر فالإضاءة كانت شبه عاتمة مع الأوّل ،ووضحت قليلا مع الثّاني رؤيتي للأحداث. لقد عرفت الاختلاف في المقنّع ،إنّهما اثنـــان ليسا واحدًا، أحدهما لديه قطعٌ غائر في الشّفة السّفلية لم يلتـــئم فترك أثرًا. تحدّثنا كثيرا عن تلك القضية في طريقنا وعلامـــات الاستفهام التي تزيد و لم نتوصّل إلى شيء؛ قبل أن أنام علقـــت صورة عيون الثعبان في ذهني كثيرًا ،وأخذتني معها إلى النّوم.

ثالث يوم اتصلت "بخالد" لأعلن له عن اكتشافي :" هنـــاك عمل شيطاني وراء هذه الجثث، عمل له علاقة بالسّحر الأسود " ،فتساءل " ما أدراك؟ " وأكملت كأنّه لم يقاطعني " الجثـــث الأربعة وُضعوا بطريقة فنية ذات مدلول، لقد رأيت تلك الصّور من قبل في كتاب عن محـــاكم التّفتـــيش (Inquisition) والسّحرة و بعض كتب الأساطير، لكني لا أفهم حتى الآن لماذا عيون الثّعبان و ليس كله؛ فالثّعبان رمز للشيطان ،لكنّ الإصرار على العينين هذا يجب أن يكون له معنى لا أفهمه، و موضـــوع الضّوء هذا بسبب الشّموع فبعد كلّ قتيل تزداد شمعـــة فهـــذه إحدى الطّقوس. هذا كل ما عرفته حتى الآن أو اســـتنتجته "، وأغلقنا الخط و أنا راضٍ عما استنتجته و لكني لست راضيا عن عدم قدرتي على التقدّم أكثر من ذلك.

عيون الثّعبان تطاردني كلّ يـوم؛ يجـب أن أفهـم تلـك الرّسالة... يجب!

باقي خمسة أيام على الجريمة التّالية لكنّني لم أتوصّل إلى شيء جديد حتى الآن ،وها أنا ذا على القهوة مع أصدقائي نلعـب الطاولة :" الدُش مقفل يا معلم " هذا "نادر" الذي يغيظني فهو الرّابح حتى الآن في تلك ال " واحد و ثلاثين " ويسخر منّـي كل من "خالد "و "طارق" اللذان يلعبان الشطرنج بجانبنا، نعم لقد عرّفتهم على وكيل النيابة الذي جعله القدر أحد أصدقائي، " هبيَّك " صاح بها "نادر" في حماسة لأنها مكنّتـه مـن قفـل خاناته جميعا ،حتّى لا أستطيع الدخول إلى أرضه والفوز السريع والسّهل بخمسة عشر نقطة؛ " هبيَّك " ظلت تتردّد في ذهـني وأنا أنظر للزهر الواقف على واحد وواحد ،وفجـأة صـحت كمن يحلـم " هبيّـك!...Snake Eyes! " نظـر لي "خالد" تاركًا مُلْكَه المهدَد " عيون الثعبان، Snake Eyes، Jumeaux، توأم!! " نظرت لخالد وفي عيني فرحـة طفـل قائلا:" توأم! ".

في اليوم التّاسع اكتُشفت همزة وصل بين القتلـى الأربعـة يجمعهم مكان واحد وهي منطقة "كفر عبده"، الوحيد الـذي يقطن هناك هو الرّجل في الأربعينيات من عمره ،والباقون إمّـا

عاشوا هناك من قبل أو عائلاتهم تقطن هناك؛ لكن التحرّيات لم تأت بأيّة نتيجة إيجابية، لا يقطن المنطقة توأمان أحدهما لديه جرح في الشّفّة السفلية. إما هذه عملية تصفية حسابات عالقة، أو انتقام من المجتمع الثّري المتمثّل في تلك المنطقة، القاتلان سيكوباتيان؟؛ لكن هذا يدحض نظرية "السّحر الأسود" والشّموع التي بنيتها. ماذا يحدث؟! ما هذه القضية؟ كل خيط أجمعه وأتحصّل عليه يهرب منّي كأنّه سراب.

نائم على السرير عاقد يديَّ خلف رأسي أفكّر في تلك القضية؛ "كفر عبده"، "جثث في كلّ مكانٍ متناثرة، توأم، مصاصو دماء، شموع، سحر،...."

قفزت من مكاني واقفا على الأرض أتحرّك في كلّ مكان كالتّائه لا أعرف وجهتي؛ أبحث عنها، أعرف أنّها عندي، أركز عقلي لأراها. أراك الآن أيّتها الشقية، أفتح الدّرج و أقلبه رأسًا على عقب، وجدتّها. أفتحها، أتمعّن النّظر بها، أفردها أمامي، إنّها "خريطة الإسكندرية". أخذت أضع علامات على "مصطفى كامل"، "سموحة"،"الظاهرية" و" بولكلي "و دائرة حول" كفر عبده"، أنظر إليها كثيرًا وأوصل بين النّقاط و"كفر عبده" ،لكن هذه إحدى الرّسومات الإحصائية لا معنى لها. رأيتها! مسحت كلّ الخطوط التي رسمتها و بدأت أرسم خطوطًا أخرى، نعم إنّها هي! نجمة خماسية ينقصها الضّلع الأخير، أوصلت الخطوط ببعضها ،فعرفت الإجابة الجثّة القادمة

في "منطقة رشدي"، النّقطة الأخيرة التي تـصل إليهـا كـلّ الخطوط، الضلع الناقص و الأخير من النجمة الخماسية.!

أمسكت تليفوني المحمول و اتصلتُ بخالد، اللعنة! إنها الثالثة و النصف صباحا، اليوم الحادي عشر. أخبرت "خالد" الـذي أجاب و أنا في سيّارتي مسرعًا ازرع الطريق ذهابـا و إيابـا مفتشا في كل المناطق النّائية بتلك المنطقة.. إإإي ي ي ءءء .. صوت فرامل سيّارتي صمّ الآذان، نـور المـصابيح ،وعينـاي معلّقتان على المشهد أمامي؛ رجل و امرأة جالسان كلّ منـهما يسند رأسه على الآخر ،ووجههما خالٍ من أية مظاهر للحياة. أتى "خالد" مسرعا و أنا أتحسّس عنقيهما، الاثنان قتلا في ذات الوقت عضّ كلّ مقنع من الاثنين رقبة أحدهما في وقتٍ واحد، وكنت صائبًا فيما استنتجته رأيت الشّموع الأربعة موضـوعة على الأربعة أركان من النجمة. عندما أبعـدت يـدي عـن أعناقهما و قلت "لخالد" بصوتٍ مبحوح و دمعة تفرّ من عيني: " اكتملت اللعنة؛وضعت آخر شمعتين على النّجمة الآن. ست جثث و ست شمعات، الشمعة الأخيرة وضعت في المنتـصف وبدماء الضّحايا تكتمل اللعنة. انتـهت الـشعائر ،وانتـهت الطقوس ،وانتهت حيوات الضحايا؛ يعلم "الله" إذا كان كـلّ هذا عبثًا ،أم ماذا ينتظر عالمنا الآن! ."

ذهبت إلى السّيارة وكأنّ على رجلي أثقال كثيرة تعوقني عن الحركة تاركًا خالد متسمرًا في مكانه ينظر إلى الجثتين في رعب ،وانطلقت بسيارتي مع وصول سيارات الشرطة.

***

أُغلقَت القضية – في نظري – ولكنّهم لم ولن يغلقوها مصمّمين أن يعرفوا القاتل و يمسكون به، لا يعرفون أنّ عيون الثعبان انتصرت علينا؛ يالغبائي شاهدت الخريطة أمامي أكثر من مرّة في مكتب "خالد" ،ولكنّي لم أر إلا بعد فوات الأوان.

هناك حفل في "مكتبة الإسكندرية" اليوم سأحضره لأرفّه عن نفسي بالموسيقى التي أحبّها رغم أنّني لا أحب نوع الموسيقى التي ستلعب ؛لكنّه حفل رغم كلّ شيء سيسوده جو من المرح العام،وهذا ما أنا في أمَس الحاجة إليه؛وها هو ذا المغنّي ملطّخ وجهه باللونين الأبيض والأسود ويغني بصوت جهنمي قوي جدًا، و هناك هذا الشاب الواقف أمامي متصنّع الاهتمام بالميتال ،أو كما نطلق على أمثاله من المتصنعين المدَّعين (Posers) يشتتني بكل تلك الصرخات وهزّ الرأس وعويل الذّئاب الذي يصدره طوال الوقت، لكن حمدًا "لله" أتى رجال الأمن وأخذوه لعدم اتباع التعليمات بعدم إحضار أشياء حادة؛ وهم يأخذونه شعرت بشرٍ رهيب، لا ليس من ناحيته لكنها

الEmpathy تعمل الآن، أوقفت رجـال الأمـن الـذين يحملونه حملًا و سألته في براءة :" لديك أخ توأم؟ لأني أعـرف واحدا يشبهك تماما " ،نظر لي في حنقٍ قائلا :" لا " ،ولـسان حاله يقول:" هذا ليس وقته أيها المختل". الإحـساس بالـشر يزداد كثيرا بداخلي، هناك شيء ما خطأ في ذلك. أسـتمع إلى الأغنية التي تغنّي الآن و التي لها اسم طويل

" لا تخاف اللافتة على صدري،

لا تخاف رقمي،

أنا من تبحث عنه. "

أرى في عقلي كلّ عضة برقبة الست قتلى و المقنّع يضحك، يضحك كثيرًا؛ و الآخر ذو الجرح يبتسم فقط في شرٍّ ويلعـق الدّماء على أنيابه و شفتيه في تلذذ.

" لا تخاف رقمي،

إنه رقم الوحش. "

أنظر حولي في جنونٍ و ارتياب و أشعر كأنّ الدنيا تدور بي، أود تهشيم رأس تلك الفتاة التي تصرخ كل ثانيتين!! ،القاتلان هنا! كيف أدخل عقل كلّ واحدٍ هنا حتى أعرفهما!؟

" إنه رقم الوحش. "

ترن تلك الجملة في أذني كأنّه الأحــدب يــدقّ أجــراس "النوتردام"؛ رقم الوحش! إنه الرقم " ٦٦٦ ". أمسكت هاتفي لأتّصل بخالد ليحضر على وجه السرعة، فالاثنان هنا وســأوقع هما لكنّه سيتأخّر وأريد كسب الوقت فأنا لا أعرف متى تنتهي تلك الحفلة؟، أبحث عن الرّقم وأنا أبحث حــولي كــالمجنون، فالتفت مرة أخرى إلى حيث كنت أنظر منذ ثانيــة واحــدة، وكنت بدأت الاتصال بخالد فتوجهت وأغلقت مكالمتي التي لم تبدأ، إنه الضابط عينه من يكرهني إنّه من لحته، اتجهــت إليــه وأنا أشقّ طريقي بين الجموع المستمتعة بالحفــل لا يــدركون الخطر الممكن أن يلحق بأيّ واحد منهم أو واحدة؛ لا أعــرف ماذا يفعل هذا الضّابط بالضبط؟!،وما هي طبيعة عملــه؟، أراه في كل مكان متواجد لكن هذا لا يعنيني في شيء. عندما رآني تبدّلت ملامح وجهه و قال لي :" أكيد أنت من عبدة الشيطان هؤلاء".كم أنت إنسان رخيص وجبان وتعرف كيف تُغلــي الدماء في عروقي، فنظرت له في كراهية قــائلا :" الموســيقى ليست لها صلة بعبادة الشّيطان، إنّه فن أيها الجاهل المتخلــف؛ لكنها النفوس الضعيفة التي يستطيع أن يلعب بها الشيطان ،ولا تمتّ بصلة لفن؛ لكن دعنا من عداوتنا الــتي لا تــستطيع أن تكسب منها أو فيها أي شيء، أتيت إليك لأنّ القاتل الــذي نبحث عنه هنا في هذا الحفل .. لا تقاطعني، أنا اعرف أكثر من

أية تحريات خائبة تحرّيتموها. لذا لنتعاون للقبض على مصاص دمائنا هذا. "

قلتها والتفت ورائي في ذعر ... Vrykolakas أقرأهـا كمن يتهجّأ ... " Vrykolakas!!! " نطقتها في استغراب كأنها انفجرت من فمي هذه الكلمة المكتوبة بعـرض خـشبة المـسرح كلّهـا تعـني شـيئًا واحـدًا، Vrykolakas (فرايكولاكاس) هي الترجمة اليونانية لكلمـة Vampire أي "مصاص دماء"! الآن كل شيء يقع فوق رأسي كأنّـه انهيـار جليدي.

"ماهر" و "باهر" مؤسـسا الفريـق، زمـيلا المدرسـة، الـSnake Eyes، الهيبـك، الـJumeaux! - الزهـر المتماثل بالفرنسية نفس تسمية التوأم -، ماهر و باهر من قدما معي فقرة في حفل تخرجنا من المدرسة!

" لماذا تخافني يا بني،

تعال إلى أحضان من يحبك.

لا تخاف اللافتة على صدري،

لا تخاف رقمي،

أنا من تبحث عنه.

لا تخاف رقمي،

إنه رقم الوحش. ''

لا أعرف ماذا أقول؟، أو كيف أقول؟ ؛لذا أنقل إلى ذهـــن عدوي هذا فأنا أفعل ثلاثة أشياء في وقت واحد ،وانتهيت من واحدة منهم، أفكّر وأنقل أفكاري و بعثت برسالة قصيرة لخالد مفاداها أن يحضر بسرعة البرق. الأفكار مازالت تنهال علـــى رأسي، " ٦٦٦ " ست جثث متمثّلون في ست شمعات، عشرة و أحد عشر يوما في ست جثث ظهرت بالتسلسل – هذا مـــا أخذته من رأسه – ما يجعلهم ٤٢ يوما لكن هذا لا يعني شيئا؛ لكن شيئًا هامًا قفز إلى ذهني "اليوم ٣١ مايو"، أي بعد عـــدّة ساعات سيأتي الرّقم "ستة الثاني" ،ولكن ينقصنا شـــيء هنـــا، يجب أن يكون هناك رقم ستة أخير .. عشرة، احـــد عـــشر، عشرة، احد عشر .. يعادوا في رأسي كأنّه شـــريط مـــسجّل، أنت أيها الأبله لا تفيد في شيء، فكّر في أي شـــيء مفيـــد أو معقول! فسمعت صوتًا من وراءي يقول " عشرة ونـــصف لا عشرة و احد عشر" فالتفت لأجده "خالد" واقـــف خلفـــي : " منذ متى و أنت هنا؟"،فردّ مبتسمًا :" منذ كنـــت كـــالمجنون تردد عشرة و احد عشر و هذا التيس أمامك كالمنوم مغناطيسيا " لم أعرف أنّي أردّدها بصوت مسموع لكني مازلت لا أفهـــم ماذا في عشرة و نصف؟ فردّ كالذي قرأ أفكاري :" عشرة أيام و نصف أي أسبوع و ربع .. هذا يعني أنّه يجب القبض علـــى المجرمين الآن، فهل عرفتهما؟ لأنّه لا وقت لشرح " ،فأشـــرت إلى المسرح و عيني تلمع بالإجابة عن موضوع العشرة و نصف

قائلا :" هذان هما عيون الثعبان " مشيرا إلى من يغني و الآخـــر علي الدرامز — زميلا المدرسة لي و لخالد-، فهم الضابط العنيد كلّ شيء و عرف أنّ اليوم هو اليوم الأخـــير ،وإلا لا نعـــرف ماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك. تكلّم في اللاســـلكي في يــده، وعلى غير العادة رأيت عساكر تجمّعـــوا مـــن كـــل حـــدب و صوب - وسط مقطوعة عازف الجيتار المنفردة -، أعطـــوا الأمر و الإشارة باعتقال الاثنين اللذين أشرت إليهما؛ في خلال دقائق كان الحفل قد انفضّ ،وعَزف الجيتار عن إصدار نغماته التي كانت تلهب الجماهير منذ دقائق، و ما تبقى منـــه هـــي "خشبة المسرح" ،والاثنان و أنا. عندما تقـــدمت إلى "مـــاهر" مسحت الألوان من على فمه كاشفًا عن الجرح الذي رأيته في شفته السفلى؛ نظرا لي في كراهية عمياء و هما يؤخذان في عربة الشرطة و أنا أنظر لهم في حزن و أسى شـــديدين ،ولكـــن لي نشوة انتصار غامرة؛ لقد انتصرت لهؤلاء الضّحايا. قلت و أنـــا أراهم يبتعدون :" اليوم كان الاحتفال باليوم المنشود ؛لاكتمال سحرهم أو لعنتهم، خطّطوا لكلّ شيء الأيـــام و الأحـــداث ،والاحتفال حتى صار كل شيء كاملًا ومجهـــزًا. إنّهـــا فعـــلا لأعمال شيطانية ". أتى الضابط - الكريه - إلينا أنا و خالـــد ليشكرنا وأنا خاصة و لأول مرة أشعر من ناحيته بشيء مـــن الحبّ أو العرفان ناحيتي؛ لقد وثق بي وقبض عليهما على أنّـــني وعدته - أثناء نقلي الأفكار إليه - أنّني سأقدم له الدلائل.

دخلت عقل "باهر" فوجدته عبارة عن قصر قوطي الطـــراز

مليء بالأبواب و الباب الذي دخلته كــان مفتوحًــا علــى مصراعيه لأعرف كلّ شيء؛ كلّ أحداث القتل و جــرائمهم كانت تحدث في فيلا جدّهم المتوفّاة التي تقع بمنطقــة "كفــر عبده"، فيلا مثالية لأعمالهم قبوها لا يصدر صوتًا إلى الخــارج ومعزول ،فكان هناك مذبحهم حيث وضعوا كتــب الــسّحر، وعلامة النجمة الخماسية؛ كل قتلاهم عرفوهم و هم صغار ،أو لتردّدهم على المنطقة حيث كانت تقطن جدهم التي لم تتــوفّ من زمن منذ خمسة أعوام فقط، عرفوا و رصــدوا تحرّكــات ضحاياهم ؛لذا كانوا صيدا سهلا، و الأقنعة و الملابس لــزوم الاستعراض وفي نفس الوقت غطاء حتى لا يُكْــشفوا. اليــوم كانت ستكتمل اللعنة أو المقايضة مع الشّيطان بوجود آخــر " ستة (٦) " وطقوس "السّحر الأســود" الــذي احترفــاه في "اليونان"، حيث إنّه غير أنّهم سجّلوا و تعاقدوا مــع شــركة يونانية ،فهم من أصلٍ يوناني لذا عاشا بها الكــثير. بعــد أن حكيت كل ما عرفت للضّابط "عدوي" ،و"خالــد" وســط تعجب و استغراب شديدين من كليهما استدرت أنظر للبحــر الشبه هادئ أمامي من على خشبة المسرح المهجــورة الآن. " الحمد لله أُنقذ الموقف قبل فوات الأوان ".

• • • •

في اليوم التّالي أعلمني "خالد" بأنّه تمّ مداهمة تلك الفـــيلا - المهجورة! - وعُثِر في القبو على كلّ ما أشرتُ إليه، و لم أنس أن أحلّف الضّابط "عدوي" هذا بألّا يتفوّه بشيء بعدما أرهبته في بادئ الأمر ؛لأنّي من المؤكّد سأستفيد منه فيما بعـــد لـــذا لأبقي ذكراي معه.

" Hexakosioihexekontahexaphobia "

اسم الأغنية التي تغنّوا بها ،والتي تعني "الخوف (فوبيا) من الرقم " ٦٦٦ "، لم تخافوا من الرقم، رقم الوحش، و لكنّه هـــو مـــا أوقع بكما في آخر المطاف؛ لذا وجب أن أتتبّعه أهم من القبض عليكما ،فالقبض عليكما كان محتمًا ،أمّا مفاجآت الأرقـــام لم تكن ستسرّ أحدًا.

• • • •

عشرة أيام و نصف، أسبوع و ربع، خمس مناطق ألقيت بها الجثث تشكيلا لخمسة أركان النّجمة أتوا في أسبوع و ربع في أربع مرات هنا اكتمل الرّقم خمسة بالفعل، ثمّ ســـت جثـــث تشكل أول (٦)، مجموع ال٤٢ يوما يمثل ستة أســـابيع أي ال (٦) الثانية ،وأوّل يوم في الشّهر السّادس شهر "يونية" ،وهذه ال (٦) الثالثة و الأخيرة و التي كان من الممكن أن تفتح أبواب الجحيم، أنا لا افهم في السّحر الأسود وسحر الأعداد و تلـــك الأمور ،لكنّه لم يبد عبثًا على الإطلاق.

Craps

وصلت إلى "القاهرة" مبكرًا في هذا اليوم المشئوم ،فلم أجد صعوبة في الوصول لمقصدي سريعًا، قابلت هذا الضابط على بداية الطريق بعد بوّابات "القاهرة" ،وذهبت وراءه بالسيارة حتى وصلنا إلى منطقة مهجورة في محافظة "الجيزة" – المحافظة التي بداخل محافظة! – لأجد مسرح جريمة منفص – على ما يبدو لي– وجثّة غارقة في الدّماء لشاب في آخر العشرينيات ملقاة على وجهها ، وآثار ضرب مبرح عليه.

لقد مر ستة و ثلاثون شهرًا الآن منذ حادثة السيارة التي وقعت لي و راح إثرها صديقي العزيز "رامي"؛ إنّه الأوّل من "يناير" و مازالت رأس السنة تتحفني بمآسٍ، لقد ترك هذا اليوم جثة في عربة حمراء بجانبي ،واليوم يعود إليّ بجثة أمامي اختلط على وجهها الدّماء – الحمراء – بالرمال.

• • • •

إذن ماذا أتى بي إلى هنا؟، وما تلك القضية؟

لقد تغيّر الكثير منذ قضية "ماهر وباهر"، لقد أفلت لسان "خالد" أمام أصدقائي كثيرا و كثرة كلامنا الغريب أثار شكوكهم وحنقهم ،وأيضًا هذا الضابط الذي يأتي لزيارتنا من حين لآخر؛ كنت أتملّص من الرّد بشتّى الطرق ،لكنّي آثرت

البوح لهم قبل عدّة أيّام من الآن ،ومن الجيد أنّي فعلت فمنذ ساعات كلمني "خالد" ،وطلب منّي الذّهاب إلى "القاهرة"، فهناك قضية عالقة والضابط صديقه الذي سيقابلني أمين لن يبوح بشيء فهو مثل أخيه و يثق به ثقة عمياء، لكني قلت له بأن الموضوع ليس بسرّ الآن فقد خرج عن نطاق الثلاث لا الاثنين! لكنّي أريد الأمانة في الحفاظ على ما يعرفه؛ وصديقه هذا في ورطة اليوم، لديه جثة في ليلة رأس السنة ملقاة في منطقة نائية و بلا هوية؛ لذا أنا هنا في "القاهرة" في ذلك اليوم المشئوم – بالنسبة لي – و أمامي جثة ملوثة بالرمال المختلطة بالدماء.

• • • •

جثوت متأمّلاً هذا الشابّ ،وقربت كفّي من آثار الضرب على وجهه ،والتفتّ للضّابط "صديق خالد" قائلاً: " خالد – من المفترض – شرح لك، لذا لا تتعجّب أو تجري كالطفل!". هناك خمسة واقفون حول هذا الشاب يلكمونه بوحشية منهم من يضحك ويضربه في بطنه بقبضته ،وآخر غاضب عليه كأنّه قاتل والدته! ينهال على وجهه ضربًا و صفعًا؛ يقف في المنتصف – أمامه بالضبط – رجل له ملامح غليظة واقف ينظر إليه و ينفث دخان "السيجار" في صبر و رويّة و... قبضة أحدهم هبطت كالصّاعقة على وجهه ثم... اللاشيء.

" هذا الرجل ضُرِب حتّى الموت في مخزنٍ ما، لا أدري ماذا يخزّن به؟ ،أو أين يقع؟ " قاطعت نفسي ملتفتا إلى ما أثار انتباهي، يده نالت قسطًا كبيرًا من التعذيب أيضًا أصابعه شبه مهشّمة في كفيه؛ لمستهما فانتقلت إلى غرفة بها لعبة الطاولة تتوسّط الغرفة وحوائطها مغلفة بورق كرتون أبيض مكتوب عليه أرقام و علامات كثيرة و احتمالات أرقام و الأرض متناثر في كل مكان عليها زهر اللعب من كلّ الأحجام و الألوان و... هذا المكان أعرفه تلك القارة الأفريقية ،وعلامة الأسد التي أراها من الشرفة أمامي، هذه منطقة "مصر الجديدة" لقد أتيت إلى هذا المكان مع "رالف "من قبل؛ هذا الرجل مهووس بالزهر يلعبه دائمًا ،ولا يملّ منه أو من الكتابة على ورق الحائط من اختراعه هذا.

شكرني الضّابط لمعاونتي بعد أن قصصت عليه كل ما رأيت، وأشار لي بالذّهاب فسيارة الإسعاف و سيارات الشرطة آتية الآن فهو لا يريد توريطي ؛لأنّ "خالد" أوصاه ألا يقحمني أو يكشفني وحتى آخذ قسطا من الراحة بعد رحلتي تلك ؛لأنّ في الظّهيرة سوف نذهب لإلقاء نظرة في المكان الذي أشرت إليه في حديثي عن الشّقة، و لكني ألقيت نظرة على شيءٍ آخر قبل ذهابي، ثم حييته و اتجهت إلى مترل "رالف".

وصلنا إلى المكان المنشود فقطعت أفكاري الـتي تحيّـرني، وترجّلت من السّيارة لأرى خلفي تلك العلامة التي رأيتها مـن شرفة صديقنا المقتول؛ " أستاذ سمير؟ " يسألنا البـواب كمـن يريد معرفة الشخص لا نحن، بدأت أتوتّر وأفقد أعصابي ؛لـذا اختصرت الطريق و دخلت الباب المفتوح في تلك العمـارة في رأسه – هذا الشّخص عرف في حياته شـيئًا واحـدًا ،وهـو حراسة العقارات منذ جاء إلى الدنيا – " نعم هـو الـشخص الذي نسأل عنه يا عم "سويلم" قلتها مقاطعا إياه و استغراقه في الشّرح و الوصف كأنّه كان ينتظر لحظة كتلك ليشعر بأهميتـه مع كلّ الطرق التمثيلية بيديه ،ورأسه وشفتيه ،ولكن أنا مـن ضاق خلقه فنحن نبحث حول المنطقة و حول كل البنايـات التي تطلّ على هذا الإعلان منذ نصف ساعة، أحيانا أن تكون طبيعيًا أمرًا مملاً! ،وخصوصًا مع شعورك أنّك "كلب بوليسي" لا إنسان؛ لأنّ ما يشغلني أنّي لا أفهم ماذا يريد مني صـديق "خالد" هذا فالقضية سهلة جدا، جثة بلا هويّـة متروكـة في الخلاء في منطقة نائية و ببعض التحرّيات البسيطة كل شـيء كان سيحلّ؛ أهذه القضية الصّعبة العالقة التي يحتاجونني لها؟! أم أنهم يستسهلون فقط فيأتون بالمهرّج ،والكلب البوليسي لينجز المهام بسرعة و سهولة لهم؟! التفكير يقتلني و رأس هذا الضابط خالية من أية إجابات شافية.

صعدنا إلى الشّقة التي كان يقطنها "أستاذ سمـــير"، عـــالج الضّابط باب الشقة ،فلم نحتج لكسره أو استخدام قـــدراتي – بدأت أشك في كونه ضابط بعد تلك الحركة، أتعلمون ذلك؟ – بدأت أدخل الغرف حتى وجدها، غرفة كئيبة مليئة بـــورق كرتون يغطّي الحوائط و عليه أرقام كثيرة و لعبة الطاولة الـــتي تتوسّط الغرفة ،وزهر اللعب الملقى في كلّ مكـــان، فتحـــت الشرفة لأرى نفس المشهد الذي رأيته بعينيه- أو ما أرتني إياه يده –؛ أشرت للضّابط ألا يشتّتني و يبقى ثابتا، جلست أمام اللعبة أتأمّلها ،وأنا أتذكر "الهبيك" الذي كـــشف لي عيـــون الثعبان و الآن ... إنه يرمي الزّهر و في يده ورقة يكتب عليها رقم ثم يقذف الزّهر ثم رقم آخر و يقذف الزهر مرّة أخـــرى، يكررها كالمجنون أكثر من مرّة لكنّه يحب الرقم "سبعة" جـــدًا الرقم الذي يكتبه و يأتي به الزهر بشتى الطرق فهـــو يكتـــب سبعة، و يخطّ أكثر من خط بجانبه وعند كلّ رمية تأتي بالرقم يشطب خطًا من الخطوط ،والعجيب أنّ الرقم يأتي مع كـــلّ رمية ،وهكذا يفعل أيضًا مع باقي الأرقام. تركت الزّهر مـــن يدي ليقع على الطاولة كاشفا عن سبعة! سبعة أنت تخيفيني، ما سرّك؟ لأنك رقم الكمال أم... فهمت.!

الآن يجب أن أبحث عن تلك المفكّرة التي كانـــت بجانـــب الطاولة طوال الوقت، حُمت في المكان كالذّبابة أبحث عنـــها

حتى وجدتها، نفس المفكّرة التي رأيتها فخبّأتها بداخل البنطال قبل أن يأخذ – هذا المغفل – باله و هممت بالّذهاب لكنه استوقفني ليسألني عما رأيت، هنا لم أتمالك أعصابي أمسكت به من بذلته الرّسمية صارخًا في وجهه :" أنا الذي يحدّد ،ويقول لا أحد غيري لذا ائتني بكل المعلومات غدًا في الثانية ظهرا حتى أبدأ منها؛ لقد غفلوا أن يقولوا لك إنّي بارع في قراءة الأفكار! " ثمّ تركته و تركت الشقة المليئة بالزهر هذه. جلست مع "رالف" في كافيتريا بجانب منزله و أخذت أقلّب في صفحات المفكرة طوال جلوسي معه، إنّها أشبه بيوميات ومذكرات وفلسفة في آن واحد؛ " لها صلة بالقضية هذه؟ " قالها مشيرا إلى المفكّرة التي تشغلني فأومأت رأسي بالإيجاب فعاد قائلا بصوت منخفض :" هل تخيفك مواهبك تلك؟ ... لهذا أخفيتها عنا؟ " قال تلك الجملة الأخيرة مقاطعا إياي قبل أن أبدأ حديثي لكنّي أشكره على مقاطعته تلك لأن ما قاله جعلني أفكّر قبل أن أرد " تخيفني... لا أعرف لكني أعرف يقينًا أنّها أزادت من ابتعادي عن النّاس، صدّقني أبشع شيء هو أن يكون من أمامك ككتاب مفتوح صفحاته ناصعة البياض يعميك وهجها، فالجهل في هذه الأشياء نعمة كبرى تستطيع العيش في سلام وراحة بال "و مواهبك الأخرى؟ " ابتسمت قائلا :" مفيدة جدا و رائعة لا تؤرّقني في شيء؛ أما عن إخفائي عنكم ؛لأنّها كانت لديّ من قبل و لم أستطع التحكّم بها كأنّي لا أملكها، وعندما أتتني كانت بعد حادثتي أنا و"رامي" و ما أخافني شيئان

أن يُعتقد أنّي أُهلوس أو أجذب تعاطف الناس لي ،وأن أفقدكم وأنتم كلّ ما لدي، فهذه ليست مزحة إنّها مواهب و قــدرات تخيف أكثر مما تذهل فرؤيتها في السينما شيء وتواجدها معك و بجانبك شيء آخر. لكنكم متفهّمون جــدا - حمــدا لله - وبالفعل أصدقاء حقيقيون "، فقال مازحا :" لا تقطّع قلبي " ، ويرسم على وجهه علامات البكاء الساخر فأخذني الــضحك بعيدا عن المفكرة و القضيّة ،وقضينا اليوم في سلام و كــلام، الكثير منه.

• • • •

اكتشف "سمير" موهبته عندما كبر، وجد نفــسه يــستطيع التحكّم في المواد لكن موهبته ضــعيفة يــستطيع الــتحكم في الأشياء الصّغيرة أو الخفيفة؛ حاول أكثر من مرّة تحريك منضدة أو كرسي خشبي ؛لكنّه لم يستطع التحكّم في أكثر من الملاعق والشّوك و السكاكين و بعض الكراسي البلاستيكية، استطاع ثني الملاعق بذهنه وتحريك لهب من شمعة إلى شمعــة أخـــرى، ولكنّه وجد ضالّته في زهر اللعب. بدأ كلّ شيء عندما كـــان يلعب مع أبيه الطّاولة على القهوة في حيّهم المتواضع، الأرقـــام التي يأتي بها هي كلّ الأرقام التي يحتاجها ليكسب، وســاعده ذلك على كسب المال السريع ،فكان يلعب على الأمـــوال أو المشاريب مع أصدقائه وقاطني حيه، لكنّه كان يعـــرف مـــتى

يتوقّف ومتى يترك الحظ ليلعب بدلا منه، جنى مـــن موهبتـــه الكثير من الأموال - حتّى لو كانت ضئيلة لكنّها كثيرة بالنسبة له - وجنى معها الكثير من العداوات أيضًا.

كان القمار حياته ومهربه من حياته التي يعيـــشها، جـــني الأموال السّهل يعلم الاسترخاء ،وانعدام الرّغبة في العمل؛ لكن مكانه لم يسعفه ؛لتحقيق أحلامه فالقمار على القهاوي لن يأتيه بالمعيشة الرّغدة التي ينشدها ،فبدأ يذهب إلى صـــالات قمـــار رخيصة يلعب "الروليت" فيكسب و يكسب و يذهب إلى آخر فيكسب أكثر و أكثر حتّى أصبح يملك المال اللازم الذي يغيّر من هيأته ،والملابس التي تجعله يبدو كأحد الأثرياء؛ تعـــرف في هذه الأماكن على أناس يديّرون أماكن للقمار في منازلهم.

وبدأت محطته الثّانية، بدأ يذهب إلى تلك المنازل ويلعـــب "الروليت" ،ويجني أكثر مما سبق وهناك وجد من يلعبون أبسط أنواع القمار على منضدةٍ صغيرة لها أركان وهي لعبة " البقّة " بحيث يضع كلّ واحد رهان و يرمي الزّهر ومن يأتيـــه الزّهـــر متماثل قبل الآخر يحصل على الأموال ؛لذا اتّجه كثيرا إلى تلك اللعبة السهلة جدا في نظره،وكانت سياسته في اللعب دائمًا أن يُخَسِر نفسه في الرّهان الصغير و يكسب الرّهان الكبير؛ ظـــل يتردّد على تلك الشّقق أو " الشقوق " كما أسماها حتّى جـــنى

موالًا طائلةً ،ومن هنا بدأت الرحلة؛ عندما تجري الأموال بين يديك كأنّها أنهار لا تنضب تبدأ في البحث عن الشّلالات ثم البحار ثم المحيطات.

محطته التّالية كانت الفنادق الخمس نجوم التي بها كازينوهات، ذهب للعب "الروليت" بها وكسب الأموال القليلة كما صنّفها ،وصنّف كلّ ما كسبه من قبل بالقليل جدا بعدما رآه في أحد الفنادق؛ وجد المحيطات التي طالما حلم بها فتلألأت عيناه ،وسال لعابه لها. كان قد ابتاع شقّة في منطقة "مصر الجديدة" أنفق عليها الكثير لكن كله يهون الآن في سبيل تحقيق حلمه بالمعيشة الرّغدة الهنيئة ،والسهلة "فمصر الجديدة" بالنّسبة له كانت حلمًا و تحقّق فالآن حلمه بسيّارة "مرسيدس" يتوهّج أمام عينه وكلّ أحلامه دفعة واحدة. " آتٍ إليك أيّها الحلم، حلم كل الأحلام، آتٍ إليك يا محيط، آتٍ إليك يا Craps. "

لم يدر أنّ الزّهر الذي جعله يجني القليل في الماضي هو ما سيجعله يجني الكثير في الحاضر؛ لعبة ال " كرابس (Craps ". ذهب إلى نفس الفندق مرّةً أخرى في اليوم التّالي، لعب "الروليت" جنى بعض الأموال واتّجه إلى ترابيزة الكرابس، وقف هناك يراقب ويسأل ويتعلم، لم يراهن أو يلعب هذا اليوم

أو اليوم الذي تلاه ظلّ فقط مراقبًا لتلك اللعبة.

"الكرابس" ليست موجودة في جميع الفنادق مما سيعيقه عن التنقّل ،والحركة بحرّية كما كان يفعل مع "الروليت" لكن هذا لن يهم فالكرابس ستوفّر له أضعاف ما كانت "الروليـــت" ،أو أي لعبة أخرى توفر له؛ بدلا من وضع رهانات كثيرة تخـسر وواحدة تكسب - رغم المكسب الجيد - فمنذ الآن جميـع الرهانات ستكسب.

ترابيزة الكرابس خضراء اللّون وزهر اللعب هما كـل مـا يشغل تفكيره، لم يبرح مترله لمدّة ثلاثة أيام يتعلّمها و يتقنـها، حتّى أنّه خصّص لها غرفة ؛ليتعلّمها و يتدرّب عليها بها، أتـى بأوراق الكرتون الكبيرة ،وخطّ عليها الأرقام كلّها باحتمالات "الزّهر" ،وبدأ يرمي الزهر على لعبة الطاولة التي تتوسّط الغرفة و يخط خطوطًا كثيرةً بجانب كل رقم ومع كلّ رمية يـشطب خطًا؛ تمرّن كثيرًا قبل أن يذهب ليلعب ،وقد اشترى الكثير من الزّهر بكلّ أحجامه و ألوانه يُلقي بالزّهر على الأرض ،ويـأتي بالرّقم الذي حرّك الزّهر عليه فيكتب ،ويشطب على الخطوط و الأرقام المكتوبين على ورق الحائط الذي اخترعه.

ذهب في هذا اليوم إلى الكازينو ذاته، وقـف أمـام لعبـة "الكرابس"، الترابيزة أمامه و لكنّه لم يلعـب وضـع فقـط

الرّهانات على الأرقام ،وآخيرًا رمى الزّهر فأتى بالأرقام الــتي وضع رهانه عليها؛ و بدأ هو اللّعب، لم يخسر رهانًا قط طوال لعبه ،لكنّه لم يعرف ماهية سياسة الكازينو ،وهي ألّا يخسر أبدًا كلّ هذه الأموال! نعم قد اشترى شقّة و عربة - ليــست مــا يحلم بها - و لكنّه يريد أكثر من ذلك ،والكرابس تحقق له.

في أحد المرّات أتاه رجل ليسأله أن يأتي وراءه فالمدير يريــد مقابلته، ذهب خلفه و دخل غرفة المدير ليجد شاشات مراقبــة في كلّ مكان، استقبله الرّجل بترحاب غريب ،ثمّ انقلب وجهه و توعّده ؛لأنّه سارق و غشّاش ،وهو لا يقبل مثلــه في هــذا المكان... لذا قرّر أنه سيترك الحظ لمرة واحدة يلعب بدلا منه.

• • • •

صحوت من نومي كأنّي كنت أحلم بحيــاة القتيــل لقــد جلست على السّرير أقرأها حتى انتهيت منها كلها؛ لم أعــرف متى غفوت أو أنّي غفوت من الأســاس. أغلقــت المفكّــرة، وجلست أفكّر في كلّ هــذا "الجثــة، المفكــرة، الكــرابس، هواجسي، الضابط الذي لا يعرف خالد تلك المعرفــة الــتي وصفها لي خالد على الإطلاق، موقع الجريمة الــذي بــدا لي وكأنّه انفضّ و قيل إنّه سيبدأ"، ... لذا لنبدأ اللّعب و اللّعــب سيكون بقواعدي و قوانيني، أنا! اتصلت بالضابط " إنّها الثّانية

الآن حسب التوقيت الصّيفي...لا لا أريد أن أعرف شيئًا اسمعني ونفّذ فحسب، سوف أتّفق معك على بعض الأشياء الآن ،ويجب أن تنفذها لأطيح برأس القاتلين "؛ شرحت له خطّتي و مطالبي ،وأتاني ردّه بعد خمس دقائق بالاستجابة لكل شيء. إذن فلنبدأ!

تأنقت في بذلة سوداء تلمع بعض الشّيء و معطف أسود، واعتمرت قبعة من نفس اللون، بدوت كنجوم السّينما ،أو أحد رجال المافيا المحنّكين بهيأتي تلك ،ومظهري الذي أضفى عليَّ حنكة، كسر هذا اللّيل الحالك عليَّ قميصٍ أبيض اللون، بدأت أشكّ أنّه أنا بالفعل ،ونزلت من منزل صديقي أخذت سيّارتي متّجهًا إلى ذلك الفندق الذي كان يتردّد عليه "سمير" للعب الكرابس؛ دخلت الكازينو وحوّلت أموالي إلى "فيشات اللّعب"‡‡، كان هذا أوّل طلب مائة ألف جنيه ،لألعب بهم ها هم ذو بين يديَّ لكن مصغّرين متحوّلين إلى دوائر صغيرة مسمية بالفيشات - لكن ليس المبلغ كلّه بالطّبع - و اتّجهت إلى لعبة "الكرابس"؛ كما وصفها "سمير" بالضّبط، الأرقام أربعة، خمسة، ستة، ثمانية، تسعة و عشرة في مستطيلات أعلى

‡‡ فيشات اللعب: أقراص صغيرة من المعدن أو البلاستيك المقوى تستخدم في الكازينوهات بدلا من الأموال السائلة و تسمى (**Casino Token**) و الاسم المتعارف و المتداول لها (**Chips**).

الترابيزة بجانبهم مستطيل الDon't Come Bar و تحتهم خط ال Come Bar و تحته الField عليه اثنان، ثلاثـــة، أربعة، تسعة، عشرة، إحدى عشر و اثنا عشر، تحتـــهم خـــط Don't Pass Line و أخيرًا تحتهم جميعًا خـــط Pass Line؛ في أقصى اليمين رقمي ٦ و ٨ و هما Big ٦ و Big ٨ و على أقصى اليسار مستطيل كبير هو الSingle Roll في شَماله كلمة Seven و جنوبه كلمة Any Craps و في المنتصف مجموعات الزّهر المتشابه و تسمى الHard Way، (٢،٢)؛ (٣،٣)؛ (٤،٤)؛ (٥،٥) و الHorn و هم اثنـــان (١،١)، ثلاثة (٢،١)، إحدى عـــشر (٦،٥) و اثـــني عـــشر (٦،٦).

لقد شرح كلّ شيء عنها "سمير" في مفكرته تلك، كـــان يدرّس هذه اللّعبة ،ويحلّلها لا يقامر عليها فحـــسب، القاعـــدة للعب سهلة إمّا أن تلعب برمي الزّهر ،أو تضع رهانك علـــى أحد الأرقام و تنتظر اللاعب الـــذي يـــسمى الـــ"رامـــي (Shooter) " و لا يُلعب بنفس الزّهـــر مـــرّتين – تعطـــى زوجان جديدان مع كلّ رمية – و عند كلّ رميـــة يجـــب أن يلمس الزهر جدار "ترابيزة الكرابس" منعًـــا لأيّ تلاعـــب أو تحكّم باحتمالاته ،فاصطدامه بالجدار يؤكّد عشوائية الـــدّوران.

الرهان – أو ال (Bets) – في هذه اللّعبة واسع والفيصل في اللعبة هو رقم سبعة و هو ما يتحكّم بكل شيء في اللعبة؛ Pass Line تكسب فيه عندما يأتيك الزّهر بسبعة أو أحد عشر و تسمّى السبعة (Natural) وتخسر إذا أتاك اثنان أو ثلاثة أو اثنا عشر، الDon't Pass Line عكسه تمامًا فما تكسب به هناك تخسر به هنا ،وما تخسر به هناك تكسب به هنا مع الفارق أن الرقم اثنا عشر هنا تعادل أو (Push) يمكنك من سحب رهانك من الDon't Pass Line. الCome تشبه الPass Line تكسب وتخسر كما يكسب و يخسر ،لكن إذا أتى أي رقم غير ذلك تُحَرَك الفيش إليه في مستطيلات الأرقام ،وهنا توضع الفيش على الرقم ذاته – أو بداخل مربع الرقم للدقة – و تخسر الأرقام التي حرّكت إلى المستطيل إذ لم يأتِ الرقم قبل ظهور السبعة و عكسه تماما الDon't Come التي تشبه الDon't Pass Line.

الأرقام في الأعلى لا يوضع عليها الفيش – فقط في حال أتت من الCome أو الDon't Come – تُوضع إمّا على الضّلع الجنوبي أو الشّمالي للمستطيل؛ الشمالي يسمى الPlace Lose إذا أتى الرّقم قبل السبعة يخسر الرّهان،ولا يكسب إلا إذا أتت السبعة قبل ظهوره، والضلع الجنوبي يسمى Place Win تكسب الرهان إذا أتى الرّقم قبل السبعة، أمّا

إذا أتت السّبعة قبله يخسر. أمّا الرّهان على الSingle Roll له قواعده الخاصّة فعندما توضع الرّهانات على مجموعات الHorn و Craps Any وSeven إذًا أتى الرقم الموضوع عليه الرّهان يكسب ،أمّا لو أي رقم آخر يخسر، الHard Way تُوضع الرّهانات عليها ،ويمكن أن تظل موضوعة حتّى يأتي الرّقم لكن هنا إذا أتى الرقم بطريقة الHard Way يكسب ،أمّا لو أتى بأية مجموعة أرقام أخرى يخسر الرهان.

أعرف جيدًا أنّ تلك الأماكن مراقبة رقابة شديدة، والكاميرات بها في كلّ مكان ؛لكشف من يسرق الكازينو أو يغشه لكنّه بخيل لا يحب من يهزمه ،وطمّاع يريد أن يأخذ مالك ،والمحبّب إليه ألّا يعطيك شيئًا. اتّجهت إلى "الكرابس" وضعت الفيّش أمامي أرقب اللاعبين الآخرين ،ورهاناتهم وبدأت اللعب؛ وضعت رهاناتي مع ال"رامي" في نفس الأرقام التي اختارها مع إقصاء الرّهانات العكسية للسبعة التي ستأتي، رهاناتي معه كانت على الPass Line و الPlace Lose للأرقام تسعة و عشرة و خمسة.

إنّها الطّريقة الأصعب في "الكرابس" ؛لذا لنبدأ بها نختبر قدراتنا. رمى المراهن الزّهر ليتخبّط في الجدار ثم في بعضه، وهناك واحد يراقب الزّهر بنهم يشعر بالأدرينالين يفرز في كلّ

جسده ، وكأنّها المرّة الأولى التي يرى فيها زهر اللعب يتخبّط ويتدحرج، كأنّه مرّ دهر حتّى استقرّ الزّهر كاشفا عن اثـنين وخمسة ،وكأنّ الحياة دبّت فجـأة في المكـان مـن حولـه، واستعادت إيقاعها السّريع مرّةً أخرى ،ووجد مـن يحتـضنه ويشكره متعلّلا بأنّه "فأل خير"،و وش سعد"، كـان رهـاني كبيرا، فقد راهنت بنصف الفيشات التي معـي أيّ راهنـت بخمسة وعشرين ألف جنيها في أوّل مرّة لي في مكـان كهـذا وبيئة كتلك. ناديت أحد النّادلين ؛ليأتني بـشراب وقبـل أن ألتفت إلى اللّعب مرّةً أخرى كان قد أتاني به، يالّسرعة! نقدته مائة جنيه بقشيش ،وانهمكت في اللّعب مرّةً أخرى ؛ راهنت في المرّة الثّانية على ال٦ Big و الField و الPlace Win للرّقم ثمانية و الثمانية ،والستّة في مجموعـة الHard Way [(٣،٣) ؛ (٤،٤)]. رمى آخر الزّهر - فكانت هذه المرة أقلّ حدّة عليّ ،فقد بدأت أعتاد الوضع ،والمكان - الزهر لا يتحرّك أمامي ببطء كالمرة الـسابقة، " Hard Six " صـاح بهـا الStickman ليعلن عن فوزي المضاعف فقـد كـسبت الHard Way و ال٦ Big؛ الStickman هو مـن يعلن ما ورد في الدورة ،ويجمـع الزّهـر بعـصىً طويلـة أو (Stick) - لذا تمّ تسميته Stickman - و يوّجه ال Base Dealers لإعطاء الأرباح للفائزين و يكون هناك اثنان منهم

على جانبي الBoxman - الذي يحمل الفيش و يشرف عليهما - يدفعون ويجمعون الرّهانات، أردت ترك الحظ يلعب لكن هناك من يراقبني من بين الاثنين الBase Dealers لذا تركت الحظ جانبا و جعلت الزّهر يستقرّ على أربعة وأربعة لأفوز بالHard Four و رهاني على الثمانية.

وضعت رهانات بسيطة نسبيًا فكان هذا دوري - الذي لم يكن كذلك لكن حسبما قال الBoxman أصبح -، أمسكت هذا الزّهر أسود اللون حركته في راحة يدي ،وتركته ليطير و يتخبّط في الجدار و يستقر على " Yo " أي الرقم أحد عشر التي صاح بها الStickman فأخذت أرباحي من الField التي كنت قد خسرتها في دورة سابقة ،وأعدت الرّهان عليها وخسرت ما وضعته على الAny Craps. تنفّس مراقبي الصّعداء بعض الشيء لخسارتي - و إن كانت ضئيلة - ثمّ لعبت ثلاث دورات أخرى تحكّمت في واحدة منهن ،وتركت الباقي للحظ؛ كسبت الكثير اليوم ،ولفتّ الأنظار كما أردت ،ولكن بحرص.

اشتريت عشاءً من أرباح اللّيلة لي ،ولرالف و جلسنا نتحدث عن اليوم ثمّ ذهبنا لننام؛ صحوت على منبه "رالف" - المزعج - الذي لا يريد أن يصحو، أحسّ كأنّي أمّه تحاول

إيقاظه ليلحق بـــ(باص) المدرسة،" لم تأخذ على النظافة أنت..
كلّ هذا من أجل يومٍ واحد أكلت به عشاءًا مفتخرًا !" قذفني
بالوسادة صائحًا:" لم آكل أطعمة بهذه النّظافة مـــن قبـــل يـــا
"شريف بك"، ربنا يخليك لنا !" ،واعتدل في جلسته يسألني إذا
ما كنت سأكمل عبثي هذا أم لا فأجبته :" إنّها لعـــبتي الآن،
أرادوا أن يظفروا بذيل السّمكة مثل الأغبياء ؛لذا ســـأعطيهم
السّمكة كلها يفعلوا بها ما يشاؤون؛ غير ذلك أجني الأمـــوال
السّريعة عن عملٍ يعطّل عملي ؛لذا فهذا تعـــادل ". ذهبـــت
لشراء بعض الملابس هذا الصّباح لأذهب بهـــا إلى الكـــازينو،
ولاستعمالي الشّخصي فهنا في "القاهرة" الأصناف و الأنـــواع
والأذواق أكثر من "الإسكندرية"، و ظهرًا زرت فرع شركتي
في "القاهرة" ،فهي من أكبر الشّركات في مجالها "ســـكندريا"
،ولها باع ليس بالضئيل "قاهريًا" فذهبت لأنجز بعض الأعمال
بها إثر مكالمة من مديري - هذا الرّجل لا يريد لي أجازة حتّى
التي على حسابي! -.

في المساء لبست بذلة من اللّاتي اشتريتهنّ صباحًا ،ووضعت
دبوسًا للجاكت ليزيد من رونقي ومظهـــري الفخـــم، و الآن
لنضع ذلك العطر الفاخر لـــ"رالف"، آخذ مفـــاتيحي، أتـــرك
ورقة "لرالف" على الثّلاجة و أنزل. راجعت القواعد في مفكرة
"سمير" ؛لأرى ما إذا فاتني شيء لأنّ حدث أمـــس أشـــياءً لم

أقرأها مثلما حاولت وضع فيشاتي على الCome و لكن تمّ إرجاعها لي؛ نعم هناك أشياء فاتتني لكن لحسن الحظ لم أقع في فخّها، "السبعة" هي نهاية الدورة فاللعب دورات أوّل دورة بعد السّبعة تُسمّى Come Out Roll بها يمكن الرّهان على Pass Line و Don't Pass Line ،ولا يوضع رهان على الCome أو الDon't Come إلّا بعد دورة البداية الCome Out. الرّهان على خطوط الPass و ال Don't Pass ما يكسبهما من سبعة و أحد عشر بالنسبة للPass Line و اثنين و ثلاثة و اثني عشر بالنّسبة لـلDon't Pass Line يخسر إذا أتوا بعد الCome Out Roll.

راجعت كلّ شيء مرّةً أخيرة – مثل التلميذ النّجيب الذي يدخل لجنة الامتحان ،ومازال يستذكر والورق في يده حتى آخر وقت – لأتأكّد من كلّ شيء ،ودخلت الكازينو حوّلت فلوسي إلى فيشات اللعب ،واتّجهت إلى "الكرابس"، الكثير من المتواجدين اليوم كانوا متواجدين أمس ،والأغرب أنّ هناك اثنان تذكّراني وأتيا ليحيّياني كأنّنا أصدقاء منذ زمن لا منذ البارحة رأيتهم ولعبت جوارهما فقط.! وقفت في المنتصف واضعًا فيشاتي أمامي ووقفت أراقب فقط لم أراقب اللّعب هذه المرّة بل راقبت المقامرين، هناك المتوتر الذي إذا كسب يظل متوتّرا واجم الوجه و هناك المتأثّر الذي في خسارته أو مكسبه

يُحدث جلبة كبيرة ،وهناك أيضًا المحترف تعرفه من وقفته الثابتة الواثقة لا يبالي بما حوله نظره ثاقب يراقب دوران الزّهر يشعر بفوزه ،أو هزيمته قبل أن يستقرّ الزّهر على الأرقام، والمبتدئين ليسوا بكثر في المكان حول "الكرابس" يُفَضِل أمثالهم اللّعبات الخفيفة مثل "لعبة الآلة (Slot Machine)" التي تدور بكراها الثلاثة؛ لتستقرّ على أشكالٍ مختلفة أو البلاك جاك (Black Jack) التي في عُرفنا الواحد والثلاثون التي تلعب بأوراق اللّعب ،لكن "البلاك جاك" واحد و عشرون فقط؛ وأكثر من أُعجَب بهم هؤلاء المغامرون ،والحريصون، الأوائل يضعون رهانات عالية جدًا - كأنّما يعرفون ماذا سيأتي به الزّهر – ويصيحوا كالمتأثّرين إذا خسروا ،ويلعبون كالمحترفين إذا كسبوا ،والآخرون يلعبون برهاناتٍ ضعيفة طوال الوقت ويشبهون كثيرًا المتوترين.

انتظرت الـCome Out Roll لأبدأ اللّعب لا للمراهنة على خطوط السّبعة لكن ؛لأنّها بداية دورة جديدة والأفق أمامي خالٍ من أيّ شيء إلّا من اللّون الأخضر والأرقام؛ راهنت عَلى الـField بمبلغ متوسّط و على الـPlace Win للأربعة والخمسة والتّسعة ،وقد كان دور أحد اللذين اعتبروني صديقًا حميمًا ،وترك لي الدور لي لأكون الرّامي، هناك رجل يعتمر قبعة من قبعات الغرب الأمريكي

وضع كل رهاناته عكس رهاناتي ،لكن معـــي في الField،
غريب! ثمّ " Boxcars " صاح بها الStickman معلنـــا
عن زوج من الرقم ستة أتيت بهـــم لأكـــسب رهـــاني علـــى
الField و صديقي هذا الذي يلعب على ال Don't Pass
Line و يكسب معي معتمر القبعة. تركت الحظّ يلعب المرّة
التالية فأتى بالرّقم "ستة"؛ وضعت رهانـــات أخـــرى علـــى
الCome و الHard Two (٢،٢) لأتي بهم وأكسبهم
مع الأربعة و تنتقل إلى الأربعة الفيشة التي على Come، ثمّ
الدور كان على آخره ؛ليلعب فأتى بسبعة ليطيح بكل رهاناتي
على الPlace Win للأرقام وكسب صاحب القبعة رهاناته
العكسية لي و ما وضعه على الCome؛ إنّه يراقبني دائمًـــا
وينظر لي من حينٍ لآخر، سأتركه ليفرح الآن و لينتظر القادم.!

لقد حان الوقت لنلتقي أنا و أنتم أيها القاتلين، لآخذ دوري
الآن في رمي يجب أن أراهن بالحـــدّ الأدنى مـــن الرّهانـــات
الموضوعة حاليًا ؛لذا وضعت الرّهان على Seven و أعطيت
الBoxman نقودًا ورقية ؛ليحوّلها إلى فيشات ،ووضـــعت
ثلاث أربـــاعهم علـــى الPass Line و الPlace Lose
للرّقم تسعةٍ ،وقذفت الزّهر بطريقة تمثيلية مادًا يدي في الهواء لم
أنزلها حتى قارب الزّهر على الاســـتقرار و... " Natural "
أعلنها الStickman ليعلن عن فوزي السّاحق على الكازينو
وأرباحٍ خيالية لي، هتف الكاوبوي ،وقفز في الهواء من الفرحة

فقد راهن بمبلغ كبير علـــى الPass Line معـــي و خـــسر رهاناته الأخرى ،لكن من الواضح انّ مكسبه أعلى مما خـــسر ؛ليفرح كلّ هذه الفرحة، بعد بداية الCome Out Roll التالية بثواني وجدتني غارقًا بالمشروبات ،لكنّي كسبت رغـــم هذا الحادث البسيط، فقد تعثّر نادل وانقلبت الصحفة من يديه ،وانقلب كلّ ما كان يحمله عليَّ ،وعرض عليَّ آخر أن أذهب لأجفّف ملابسي.

عندما رجعت في المساء – أو في الفجر – حكيت "لرالف" كلّ شيء عن اليوم ،وعـــن الإشـــارة بـــين الBoxman والنادل؛ ليسكب المشروبات عليَّ أثناء رميي الزّهر :" غبي جدا أفكاره تدور في عقله وصلتني بدون أي عناء و ثبات عينه عليَّ فضحاه، لذا مثّلت دور الغارق بالمشروبات ،وثبّت ذهني على الزّهر لأكسب رغم أنفهم !" قلتـــها ل"رالـــف" الغـــارق في ضحكٍ هستيري على مظهري ،والشعر المبلّـــل علـــى قفـــاي والبذلة التي اشتريتها لتوّي ،والتي قُضي عليها مـــن أوّل مـــرّة تُلْبَس فيها؛ و بالطبع من عرض علـــيَّ أن أذهـــب لأجفّـــف ملابسي كانت رسالة أن أذهب خلفه.

دخلت غرفة المدير التي تحدّث عنها "سمير" ،ونلت ضربتين غير مؤلمتين في بطني قبل أن يعقد المدير معي " صفقة عمري "

فالصّفقة على حياتي ذاتها و لا نقاش في ذلك، يتركني اليـــوم لأذهب ،وآتي غدًا أراه وأخسر كلّ ما كـــسبت في اليـــومين الماضيين فهو – على حدّ قوله – يشّمّ الغشّاشين علـــى بعـــد كيلومترات ،وبالطّبع تتبّعني أحدهم إلى المـــترل – كـــأنّي لا أعرف أنّه خلفي – و هذا الغافل كان أحد اللذين حيّوني عند دخولي ،وهو أيضًا أحد الذين ضربايي؛ المترل هذه المرّة كـــان مترل "سمير" ركنت سيارتي وصعدت بدلت ملابسي ،ووقفت أدخن سيجارة في الشّرفة ؛لأثبت له وجـــودي في المكـــان.. مسكين أو مساكين يعتقدون أنّهم "الصّياد"، ولا يعلمون أنّهم الفريسة! بعد أن غاب بدّلت ملابسي و رجعـــت إلى مـــترل صديقي الذي أقصّ عليه كلّ شيء.

اليوم التالي ارتديت ملابـــس "كجـــوال" ،وذهبـــت إلى الكازينو، أخذت قسطًا كبيرًا من النّوم و الرّاحة أمـــس – أو اليوم بما أنّه كان فجر اليوم عندما عدت –، هذه الأماكن تلغي الوقت والأيّام والسّاعات منك ،تجعلك تائهًا في دوّامة لا تعرف ماهيّتها. وجدت صديقيّ اليوم ،والكاوبوي أيضًا، هناك نفس الوجوه ،ووجوه جديدة تتطلّع إلى الرّبح السّريع والـــسّهل، ألا يعرفون أنّه لا يمكن تطويع الحظ؟ أم أنّها المغامرة التي تأتي بهم إلى هذه الأماكن؟! لا اعرف إجابة ،ولكنّي أعرف إجابة لمـــا سيحدث اليوم!.

بدأت المقامرة، نعم هي مقامرة هذه المرّة ،وليست لعب سأترك الحظّ يقرّر ودوران الزّهر يحدّد إلى أن أبدأ في اللّعب. وضعت رهانات صغيرة ،ورميت الزّهر ،فكسبت حينًا، وخسرت حينًا آخر؛ الآن أدري كمّ التوتّر والشّد العصبي على هؤلاء المقامرين وانفعالاتهم وردود فعلهم المتفاوتة والمتغيّرة ،وحالات فرحهم و تعاستهم، الآن أنا أضع الأموال ولا أدري إن كنت سآخذها مرّةً أخرى ،أم يأخذها "بنك الكازينو"!، هل سأربح أم سأخسر؟ هل أحصد الفيشات ،أم تقلع فيشاتي من مكانها؟!

ألعب و ألعب وألعب ،ورهاناتي كلّها صغيرة.

***

" Seven Out " قالها الStickman معلنًا عن خسارة ما على الSeven؛ " Ace Deuce " أتت الثّلاثة لتعلن مكسبه الكبير من الAny Craps والField، كسب دوّرتين أخرتين بمبالغ كبيرة ،والثالثة بمبلغ ضئيل.

" إذا لم تخسر كلّ ما معك سوف تخسر الأغلى، لو لم تنصاع للأوامر سيكلفك هذا كثيرًا؛ حياتك في كفّة ،وأموالي في الأخرى ،يجب أن تعرف أنّ حياتك أرخص بكثير عندي

من أموالي ،لكنّها ستفي بالغرض "

تذكر هذا ،وهو يحرّك الزّهر ويقلّبه في يده، لأوّل مرة يشعر بتهديدٍ حقيقي، لأوّل مرة يخشى الزّهر! حرّكهما مرّة أخــيرة وقذفهما، حركاتهما في الهواء تحرّك قلبه مــن بــين ضــلوعه، أطلقهم ،وكأنّه يطلق روحه من جسده ،آملا أن تعود إليــه، ولكنّها أبت و تعلّقت بالNatural؛ لم يتمالــك نفــسه، رجلاه لا تقويان على حمله. عند استقرار الزّهرتان على هذان الوجهان عرف أنّه سيستقرّ في القبر ،فقد راهن بكلّ المبلغ معه على الSeven و الPass Line ،وأتى الزهر لــه بأربعــة وثلاثة؛ لم يترك له الحظّ الوقت الكافي ليعيش ،فياليته لم يستنجد به ،وأيضًا لم يترك له المدير لحظة أخرى ؛ليغيّر كــلّ شــيءٍ بنفسه،عرف مصيره الآن عندما أتاه هؤلاء مفتولي العــضلات من خلفه ؛ليأخذوه إلى مصيره المحتوم الذي قرّره المدير.!

***

خسرت الكثير ،وربحت القليــل، وضــعت الآن الرّهــان الصّعب كلّ ما ربحت ،وكل ما كان معي - أغلبه للصّراحة - محصّلة الرهانات الموضوعة الآن هي خمسمائة ألــف جنيــه، (نصف مليون جنيه) أراهن بهم علــى حيــاتي نفــسها؛ليت الأعمال التصميميّة والدّعائية تدر مثل هذا المبلغ في ثلاثة أيّــام

فقط! إنّها الـCome Out Roll رهاني جعل الكـثيرين يعدلون عن رأيهم في وضع الرّهانات حتّى المغـامرين منـهم، لكن هناك من تشجّعوا ،وراهنوا، رهاني كان كلّ الغرابة المبلغ مقـسّم علـى الـSeven و الـPass Line و ال Place Lose للستة أرقام.

مسكت الزّهر وبدأت أحرّكه في راحة يدي بـبطء، أرى المقامرين كلّهم مرتقبين حتّى بعض الناس من لعبات أخـرى تجمّعوا لمشاهدة تلك المغامرة الكبرى، سمعت أحدهم يقـول : " يا لهذا اليائس يراهن بكلّ ما معه علـى الحـظ نفـسه ". فابتسمت ابتسامة خفية خبيثة ذات معنى حرّكت في عقلي مـا فكرت به من قراءاتي مفكّرة "سمـير" ومـشاهدتي ومتـابعتي للكازينو وحركته. الألعاب مثل البشر و نفـسيتهم. البـوكر (Poker) و" البلاك جاك" يُشْعِرُون لاعبيهم بالسّيطرة ،وإذا كنت خبيثًا ولئيمًا ،وتعرف كيف تعدّ الورق فمن الممكن أن تكسب، لاعبوها هم المتهرّبون من المواجهة ويواجهون فقـط عندما تكون أبواب الغشّ مفتوحة، أمّا السلبيون فهم لاعبـو الرّوليت و الماكينات لا يريدون أن يواجهوا الحظّ ،فيتركـون لكرة الرّوليت ،وصور الماكينات مصيرهم؛ لذا فهـم المـسلّط عليهم الأضواء ويلعبهم الجميع ؛لأنّ الناس تخـاف المواجهـة، وتستمتع بإحساسها فقط بالسّيطرة ،أو إلقاء اللّوم على الحظّ العاثر إذا خسروا ،لكن مع الـCraps إنّها المواجهة، مواجهة

نفسك. مواجهة أنّك تمسك بين يديك حظّك ترميه؛ ليرد عليك بإجابته، إنّها تتطلّب قدرًا كبيرًا من الصّدق مع النّفس لتلعب تلك اللعبة ،فأنت لا تجلس وحولك بشر آخرين تستعرض أنت ،وهم قدراتكم على ضبط النفس ،وتضحكون على أنفسكم وعلى من حولكم كما في "البوكر" ،أو ترفض أن تتدخّل في أيّ شيء كما في "الروليت"، في الكرابس أنت تمسك الزّهر - حظك - بين يديك ساعٍ خلفه متقبّلًا كلّ ما سيأتيك به ؛لأنّك لن تملّ من المواجهة ،وغير ذلك إنه اختيارك أنت لتمسكه بيدك و لن تترك شيئًا ليد آخر. و...رميت الزهر.

لنجعلها إثارة و تشويق و ترقّب بكلّ معانيهم، ارتطم الّزهر بجدار الترابيزة ،والآن يرتطمان ببعضهما ليتنافرا و تدور كلّ منهما ،ولا يكفّان عن الدّوران الاثنان معًا، يقتربان من بعضهما شيئًا فشيئًا ،ويرتطمان ليطيرا يمينًا ويسارًا و يتوقّف كل منهما مستقرا و... فترة سكوت خيّمت على المكان الذي لا يعرف معنى السّكوت إطلاقًا ،وفجأة تفجّرت صيحات فرحٍ، وتهليل قبل أن يدوّي حتى صوت الStickman الذي لم يظهر صوته وسْط صوت هذه الجموع بـ" Natural ". أخذت أجمّع الفيشات وأرصّهم في صندوق الفيشات خاصّتي، ممسكا به - متشبثًا به - أفتح ذراعيَّ مبتسمًا،وأنحني أمام هؤلاء المصفقين والمعجبين كمن أنهى دوره في المسرح؛ وجب أن

تكون النّهاية فنية حتّى لا يستطيع أحد اعتراض طريقـــي، لم يدركوا أنّي فنّان أستطيع رسم صورة بليغة تمكّنني من كسب الوقت ،ووقوفهم مكتوفي الأيدي. اتّجهت إلى شباك تحويـــل الفيشات أخذت كلّ نقودي و أرباحي، أخذتهم "بالـــدّولار" كي لا يكونوا كثيرين .وخرجت...

• • • •

عند السيّارة أتى رجل - أو رجال - من خلفي ضـــربوني على مؤخّرة رأسي لأقع فاقد الوعي، و ها أنا ذا حولي الكثير من الصناديق و مياه تتساقط من وجهي و شعري، نفس المخزن الذي أُخذ إليه "سمير" ،ونفس الأشخاص الذين رأيتهم و معهم ثلاثة وجوه جديدة :" أفاق أم لا؟ " قالها المدير مشيرًا برأســه إلى من أمامي فهويت قبضته على وجهي جعلتني أصرخ ألَمًــا " هكذا يكون أفاق. أين أخذت الأموال؟ أين خبّأتها؟ " لم أتكلّم فهوى آخر على وجهي بقبضته جعلت فمي غارقًا في الـــدّماء، وقبل أن أفتح فمي لأتكلّم ضربني في بطـــني لأبـــصق دمـــا، "سيّارتك فارغة و جيوبك كذلك، ساحر أمامي؟ "، فقلـــت و أنا أئن :" غباؤك هو ما أضاعها ." ،وقبل أن أكمل كلامي صفعني آخر متعلّلا بأنّي لا أحترم "الكبير" " هذا المبلغ لا شيء بالنسبة لأرباحك من نصف ليلة ،فلماذا تشغل بالك بهذا المبلغ التافه؟ !" . " لا أحبّ من يسرقني و بنفس طريقة صـــديقك الذي تفطن في شقّته حتى إنكما خدعتما خدعتي! " فضحكت

عاليا وسط توجّعي قائلا :" خدعة قديمة و تافهـــة، يمكـــنني بسهولة خداع زر النبض التافه هذا، محاولة جيدة لكن لا تفلح معي لأنّي من يقرّر "، هنا أخذ ثلاثة بضربي بكلّ قوّتهم – التي آمل أن تكون كلّ قوتهم و إلا لو أزادوا فسيُغـــشى علـــيّ – فشعرت بآلام لم أشعر بها من قبل " زر خفي يبعـــث نبـــضة خفيفة غير مرئية تجعل الزّهر ينقلب إلى رقم آخـــر، أســـخف خدعة في التّاريخ لتهزمني " تكلّمت و أنا أبصق دما على مـــن ضربني بشدّة في معدتي. " وضّبوا السّاحر ،وعليه العـــوض في الفلوس ." في تلك اللّحظة نظرت إليه بكلّ غـــضب ،وكـــأنّ الشّرر يتطاير من عيني قائلاً :" لست ساحرًا ... بل ألعَـــن!!" وقفت رافعا يديَّ في الهواء معلنا عن عدم وجود وثاق مربوط به – بدوت ،وكأنّي "مازنجر" في تلك اللحظة – و صوتي بدا كما لو أنّي آت من الجحيم، التفتت بسرعة خلف الكرســـي وركلته باتّجاه مَن يركض ناحيتي فأوقعه الكرسي ،ووثبت إلى الخلف مادًا يديَّ أمامي رافعا أربع صناديق خمـــر في الهـــواء، وانغلق الباب ليعلن عن حبسهم :" أتعتقدون أنّـــي المحجـــوز معكم؟ أنتم المحجوزون معي!! ". قلتها بصوت غليظ كـــأنّي آت من الجحيم ،ووجّهت الكلام إلى المدير المرتعـــب الـــذي يحاول فتح الباب " لا لن يفتح أبدا " هذا المدير الـــذي كـــان يقف منذ لحظات كمَن مَلَك الدّنيا ومفاتيحهـــا يقـــف الآن كالكتكوت المبلّل؛ " اهجموا عليه! ماذا تنتظرون؟!! " قالهـــا بكلّ عصبية وخوف،ومازال يحاول مع الباب ليفـــتح ولكـــن

هيهات. بحركة من يدي بدأ كـــل صـــندوق في الاصـــطدام بشخص من هؤلاء القاتلين المأجورين، هجم علـــيَّ أحـــدهم بعصى - إذًا أنت من ضربني على رأسي - وقبل أن يهوى بها على رأسي تفاديتها ومسكت يده ملتفًا من ورائه ممسكًا بيـــده لتنكسر،وأخذت العصى وهويت بها على رأســـه بهـــا ليفقـــد الوعي، إذًا واحد هوى. طارت زجاجة "ويسكي" لتـــستقرّ في يدي و ما إن مسكتها حتى هشّمتها على رأس الذي صـــفعني ليقع أرضًا ،وكانت ضربة من يد أحدهم ستطير بأسناني لكنّي تفاديتها و أدخلت رأس الزّجاجة المهشّمة في بطنـــه، وقفـــت مذهولا و كدت أفقد ثبات عقلي في تثبيت الباب مغلقًا؛ إنّها المرة الأولى التي أؤذي أحدًا بهذا الـــشّكل لدرجـــة أن أقتلـــه ،ولكنّي أفقت فجأة على نفسي ممسكا زجاجتين من الخمـــر أحملهما كأنّهما سيفين، والباقون أمامي مذعورون متراجعـــون لا يدركون ما يحدث لكن أنا من تبدّلت و تبدلت ملامحه أشعر بطاقة رهيبة بداخلي، طاقة شر لم أعهدها في من قبل. هـــؤلاء كادوا يقتلونني ؛لأنّي أكسب و هـــم يـــسرقون النّـــاس ،ولا يريدون أن يُحاكموا أو يُحاسبوا، قتلوا شخصًا كـــلّ حلمـــه "سيارة مرسيدس" ليكتمل حلمه و الآن يريدون قتلي هـــؤلاء الفئـــران!.

رجعت إلى الوراء ،وركلت من أفقدته الوعي والذي بـــدأ يفيق لأفقده له مرّةً أخرى؛ لا أستطيع أن أتحكّـــم في غـــضبي، تركت الزجاجتين ليقعا على الأرض ،ورفعت يديَّ فارتفعـــت

كلّ الزجاجات من الصّناديق في الهواء ومددهم للأمام ،فبدأت زجاجات الخمر تتطاير في كلّ حدبٍ وصوب تتكسّر و تتهشّم و يسيل ما بها على الحوائط والباب، فيض من الزجاجات يطير و يصطدم بكل شيء و أي شيء ،والباقون يحاولون الهرب من أسراب الزجاج المتطايرة ناحيتهم لكــنّهم يجــدونها أمــامهم وحولهم من كلّ مكان ،حتّى أنّ أكثرهم بدى ،وكأنّه زُخرِف بالزجاج، و فجأة تهشّم الباب من الخارج كاشفًا عن الصديق الذي أعطاني الزّهر في دوره ،ووراءه فرقــة شــرطة كاملــة ونزلت - هوَت - كلّ الزجاجات على الأرض ،وسقطتّ أنا مغشيًا عليَّ.

لم أدرك أيّ شيء إلا اليوم التالي، أفقت لأجد "طــارق" أمامي يقول لي مازحًا :" أهذا موعدك المفضّل للحــوادث؟ ألا يمكن أن ينقضي هذا الشهر - أبــدا- بــدون حــوادث أو مستشفيات؟ !" أضحكتني جملته تلك كثيرًا "ماذا أقول! حظّي العابث " قلتها ،واعتدلت في جلستي لدخول الرّائد "طلعت" - الذي ألقيت عليه تحية عسكرية عند دخوله - و خلفه ضــابط ذو رتبة عالية حيّاني، اطمأن عليَّ الرائد ،وعرّفني على من معه الذي جاء ليشاهد " البطل " - على حدّ قوله - و يحيّه بنفسه، وقبل أن يهم بالحديث أومأت له برأسي بالإيجاب ،فقطع ما لم

بيدأه و ألقى السّلام و ذهب. نظرت "لرالف" ففهم مبتغـــاي، ذهب وأخرج شنطة صغيرة من أحد الأدراج و ســلّمها لــه: "مائة ألف جنيه لا ينقصهم مليما، عهدتك كاملــة، و معــك أرباحك أيضًا " ثاغرا فاه متلعثم الحروف أخرج جملة متشابكة مبهمة " العهدة من أين و الفيش كيف و السيارة الفارغــة.. " و استجمع عقله و القدرة على الكلام أخيرا و قال :" لم يكن هناك أثر للأموال معك أو مع أحد من المهشّمين ،والمــشوّهين الذين تركتهم أو في سيارتك !." ضحكنا كثيرا أنا و "رالف" حتّى أنّي سعُلت من فرط الضّحك ،وقصصت عليه كلّ شيء، لكن قبلها قلت له :"حركة ذكية منك أن تعطــيني الزّهــر في دورك، أدّيت دورك ببراعة ،لكنّك تأخّرت في تأدية عملــك نفسه؛ اضطررتني أن أفعل أشياءً لم أفعلها من قبل، لم يــؤذن شيء ،ولم أندم على شيء مع الآخرين إلّا من قتلته هــذا " ثمّ قاطعت نفسي قائلًا:"ماذا حدث بعدما فقدت الوعي؟" ،فابتسم قائلًا:" عند دخولنا زجاجات الخمر أخذت تتــساقط كأنّهــا كانت تمطر زجاجات بالدّاخل ،وأنت سقطت مغشيًا عليك ما إن تلاقت عينانا !."

• • • •

عندما سألني "رالف" إذا كنت سأكمل عبثي أم لا تيّقنت أنّ عبثي هذا يحتاج إلى أكثر منّي لينجح ؛لذا خطّطنــا لكــلّ

شيءٍ سويًا قبل أن يتّجه إلى عمله، و قبل أن أنزل إلى الكازينو تركتُ له ورقة على الثّلاجة مكتوب عليها " لا تنسَ العوينات والشّارب يا مغفّل ". لم يكن "طلعت" من يلعب معي اللّعبة وحده ؛لذا لم يكن هو فقط من يكسب، كان هناك آخر غريم لي أكسبه أكثر، شخص يضع عوينات ،وله شارب نحيف، ويعتمر قبعة الغرب الأمريكي، إنّه الكاوبوي، إنّه "رالف".

عندما أخذت فيشاتي لأحوّلهم كان "الكاوبوي" ورائي، وضعت الدولارات - الذين أخذهم من فئة مائة و خمسمائة - في شنطة صغيرة ليدخلوا بها؛ نفض "رالف" معطفه الذي يلبسه في حركةٍ سريعة ليطير خلفه مغطّيًا يدي، وهنا تمّت المبادلة سريعا أخذ ما معي ،وأعطاني شنطة مماثلة فارغة تماما ،وأكمل دوره بنظرة استحقار وعداء ،وخرج ليأخذ سيّارته و يذهب إلى منزله؛ حمدا لله، لم يقم بأيّة حركات بطولية تخرب الخطّة.

عندما ذهبت للسيّارة أتى أحدهم من خلفي ليضربني فأفقد الوعي ؛لذا أخفضت رأسي قليلا و هو يضربني ليبدو وكأنّني ضُربت بالفعل وفقدت الوعي؛ جلست في المخزن أتلقّى الضّربات وأماطل ،حتّى تأتيني النّجدة أو المساندة ،فالضّرب أهون من أن أفقد وعيي وتركيزي ،فعقلي هو ما سيفعل كلّ شيء لا جسدي، لكن المدير لم يكن صبورًا بما فيه الكفاية ؛لذا تعاملت مع الموقف إلى أن أتى "طلعت" بفرقة الشرطة ،ولكن متأخرًا.

أخذت كلّ الأرباح و العهدة ،و لم يأخذ "المدير" إلّا الويل هو و أتباعه ،وبالطّبع مالك الكازينو لم ينل أي جزاء أو عقاب بسبب نفوذه و سلطاته الواسعة. أرادوا أن يمسكوا بذيل السّمكة أو مَن قتل "سمير" ،فأعطيتهم السّمكة كلّها كما قلت، لكنّي لم أستطع أن أسلّمهم القرش الذي يحرّك هذه الأسماك!، لكن يومًا ما سيقع في فخ أو ستنال منه عدالة السّماء؛ منذ الآن فصاعدا لا علاقة لي بالكازينوهات ،أو أي "كرابس" مرّةً أخرى ،فملعونة هي أموالهم التي يمكن أن أجنيها؛ لكن ما ربحته في تلك القضية هو حقّي ،كما أنّ عقاب المدير وأتباعه حقّ "سمير" وحياته التي ضاعت هباءً ،لكنّها نهايةٌ شعريةٌ لمقامرٍ أتعب كلّ "الديلرز" ،وأهلك زهر اللعب معه.!!!!!!!!

***

الشيك لو سمحت

ردهة طويلة أتجول فيها، الأبواب على الجانبين متوازيين...

***

شادي عبد السلام أحد قاطني منطقة مصر الجديدة و أحد زبائن جميع الكافيهات و عميل مهم لديهم، شبه يوميا في أحدهم وحده أو مع أصدقائه، رجل في أواخر الثلاثينيات كريم جدا، في العديد من المرات يدفع الحساب عن كل الجالسين معه، يعمل مديرا لمكتب محاسبة و مراجعات مالية و عميل مهم ومعروف في البنوك، و علاقاته الاجتماعية متعددة و متشعبة.

لكن ما ينغص عيشته و حياته آخر يشبهه يجعل رجال الشرطة يزورونه كثيرا، لطالما اقلقوا منامه ليأخذونه إلى القسم و لا يجدوا شيئا عليه أو لديه فيعتذرون له و يرجع إلى منزله حتى أنهم سئموا مضايقة هذا الرجل البريء فريسة آخر يشبهه كثيرا و كثفوا بحوثهم عن هذا الآخر لكن بلا جدوى؛ لا ليس لديه أخ توأم فأبويه لم يرزقا إلا به، تحروا عنه و راقبوه لكن هذا الرجل شريف فعلا مما دفعه و دفعهم لقول شيء واحد " يخلق من الشبه أربعين "!

على الصعيد الآخر هناك هذا الآخر الذي يشبهه، سارق

محترف شبح بمعنى الكلمة لم يستطع أن يمسك به أحد قط، أطلقوا عليه " أرسين لوبين (Arsène Lupin[§§]) ". هذا اللص الجنتلمان من إبداع المؤلف الفرنسي (Maurice LeBlanc) و الذي هو نقيد المفتش الإنجليزي " شرلوك هولمز (Sherlock Holmes) " الذي أبدعه "آرثر كونان دويل" (Sir Arthur Conan Doyle)، و لصنا هذا ليس جنتلمان يسرق و يوزع على الفقراء لكنه ظريف فهو يستعرض أمام كاميرات المراقبة و هو يسرق لذا سمي بأرسين لوبين لأن الترجمة العربية أسمت الشخصية " أرسين لوبين اللص الظريف "؛ يسرق كل ما خف وزنه و غلا ثمنه، لم يُفهم أو يُعرف كيف يدخل غرف الودائع بالبنوك و يسرق ما بها أو محلات المصوغات و يسرق ما بها فهو يسرق في أي و كل وقت، قبلا كان لا يسرق إلا ليلا لكنه أمسى يسرق نهارا و ليلا كاشفا عن شخصيته و لا يخجل من كاميرات المراقبة بل إنه يستعرض أمامها!

***

خرجت من المستشفى بعد يومين و الثالث كان يوم الجمعة و أصدقائي كانوا هنا في القاهرة لذا خرجنا كلنا لنتنزه زرنا

[§§] Arsène Lupin: اسمه الحقيقي Arsène Raoul Lupin ظهرت لأول مرة قصصه في العدد الثالث من مجلة Je Sais Tout في ١٥\٠٧\١٩٠٥.

صباحا المتحف المصري - كأننا سائحين! - و ليلا قضيناه في سيتي ستارز - كأننا في رحلة مع المدرسة! - ثم غادر طارق و نادر إلى الإسكندرية قبل منتصف الليل و تمنوا لي حظا موفقا و ذهبت أنا مع رالف لمنزله الذي صرت أقيم فيه هذه الأيام.

اليوم التالي ذهبت مع الرائد طلعت في زيارة لابد منها وهي ما أبقتني حتى الآن في القاهرة، ذهبنا إلى هذا الضابط ذو الرتبة العالية الذي أتاني في المستشفى، لواء له شعر رمادي اللون تنطبق عليه مواصفات اللواء التي في مخيلتنا جميعا كمدنيين، الشعر الرمادي، الهيبة التي تحيط به - أو ما يحيطه من حوله بها فتنطبع عليه -، و النسر و السيف على كتفيه! رحب بنا في مكتبه و طلب لنا عصير ليمون - ليؤكد لي بقية الصورة عن اللواءات التي نراها في التلفزيون - و قال في طريقة عملية " أنت تعرف لما أنت هنا لذا لندخل في قلب الموضوع " وأشار لنا لنتبعه.

***

عندما رأيت جثة سمير عرفت أن تلك القضية بلهاء و تحل في ثوان، و عندما دخلت عقل طلعت لم أجد إجابة شافية في المرة الأولى لقد كانوا أذكياء بعثوا له برسالة تقول " سوف تقابله عند البوابات " فقط و لم يُعلموه أي شيء آخر و مكالمته مع خالد كان يستمع فيها لأسلوبي و هذا ما جعلني غاضبا

شاعرا إني كلب بوليسي لديهم و عندما وجدت المفكرة بدأت اللعب بطريقتي لأربكهم و من هنا انكشف كل شيء بعد ذلك لي لأنهم اضطروا لكشف ما يريدونه حقا مني؛ كانت قضية سمير اختبار لي و لقدراتي و تحقق من حقيقتها و تأهُلي لما بعد ذلك.

• • • •

جلست على أريكة أمام شاشة إل سي دي (LCD) وشغل اللواء فيلما لم يكن فيلما بالمعنى الحرفي كان تصويرا من كاميرات مراقبة لما يدعونه أرسين لوبين، سارق محترف يسرق البنوك و محال المصوغات، هذا الرجل استعراضي للغاية! لا يغطي وجهه فقط يديه بقفاز حتى لا يترك أية بصمات؛ يتحرك بخفة يفتح الأدراج يسرق الودائع يضعها في حقيبة و عندما يخرج عن مجال كاميرا المراقبة لا يظهر له أثر مرة أخرى؛ جلسنا نشاهد الكثير و الكثير من شرائط المراقبة لبنوك ومحلات مصوغات، هذا الرجل يعرف جيدا أماكن كاميرات المراقبة يظهر فجأة من وراءها و يختفي فجأة بنفس الطريقة، لا أفهم كيف! رأيته يدخل من باب أحد البنوك في وضح النهار و حياه البعض فسألت اللواء عن سر هذا فقص عليَّ موضوع مدير مكتب المحاسبة و الشبه أو التطابق بينهما العجيب،ولا يوجد دليل إدانة واحد على أستاذ شادي هذا غير أنه يكون

متواجد في العمل أو مع الزملاء لذا لا يمكن أن يكون الفاعل؛ رغم كل ذلك لا أفهم حتى الآن ما المراد فما أراه شبح ينغص حياة آخر يشبهه، أيعتقد هذا الرجل إني سأدخل في الـــشاشة و أعرف له كل شيء أم ماذا!؟ أو إني سأتخاطر مع الـــشاشة؟! لكن هناك ما لفت انتباهي في تلك السرقات الصباحية لكني لم أكترث.

***

كان شادي عبد السلام جالسا وحده في إحدى الكافيهات المجاورة لمترله يشرب القهوة و فجأة ارتعشت يده و أن مـــن الألم فسقط القدح من يده ليتكسر و تظهر نقاط حمراء علـــى كُم قميصه فصرخ في ألم " الشيك لو سمحت " دفع الحساب ببطاقة الائتمان و ذهب إلى مترله يضمد الجرح ويستريح قليلا.

***

طلبت منه أن يشغل شرائط المراقبة التي أخذت في الـــصباح مرة أخرى و أحد الأشرطة من محل مصوغات خصيصا، هنـــا بدأت أكترث و آثرت الصمت.

مازالوا يشكون بهذا الأستاذ شادي و أنا أشك بـــه أكثـــر منهم إما هنالك أخ توأم أو هو يـــستخدم معارفـــه ليـــدخل ويسرق فهو لديه دائما عذر أو شهود على تواجده في مكان ما أو فواتير الدفع لتدحض ضده أي شـــكوك غـــير أن أمـــاكن

السرقات تبعد كثيرا عن مكان تواجده و القاهرة ليست كالإسكندرية من الممكن أن تقضي بداخلها أوقات أكثر من تلك التي تأخذها للسفر من بلدة لأخرى بسبب وسعها وزحامها الشديد و الاختناق المروري الشبه دائم بها.

سألني اللواء مقاطع حبل أفكاري :" هل قرأت أفكاري؟" فقلت له :" تقصد أفكارك أم عقلك؟ " " الاثنان " رد وعلامات استفهام كثيرة على وجهه " عقلك به أسرار لا يجب أن تعلم و أنا لا تهمني أسرارك العسكرية تلك في شيء أو حتى تشغلني معلوماتك السرية لذا اطمئن أنا أفضل أن أظل إنسانا طبيعيا و لا استخدم مواهبي إلا عند الحاجة لها " فباغتني بسؤال يتكرر في ذهنه :" كيف تقرأ الأفكار؟ " ابتسمت لسماعي سؤال سؤلته أكثر من مرة " الأفكار لا تقرأ فالعقل ليس بكتاب إنه أسمى من ذلك لكن يمكنك تسميتها اسمع الأفكار، فهي تنتقل من عقلك لعقلي بطريقة أنا نفسي لا افهمها فهي كالإبحار في العقل موجة تنساب من عقلك تنتقل إلى عقلي، لكن جرى تسميتها قراءة الأفكار لذا فهي قراءة الأفكار! ".

احتجز شادي من ليلة البارحة عندهم في غرفة ليس بها إلا منضدة وكرسيان هو يجلس على أحدهما و تلك الغرفة لها زجاج يرون من خلاله الغرفة تلك من غرفة أخرى بجانبها، لم اعرف أنه لدينا أشياء مثل هذه من قبل. وقفت أنظر لهذا

الرجل الذي يجلس عاقدا يديه على صدره و قلق قلقا رهيب ينطبع عليَّ و خرجت من تلك الغرفة الجانبية لأجد مفاجأة تنتظرني، خالد واقف ابتسم لي و احتضني متأسفا عما سببه لي من مشاكل و متاعب في تلك الفترة لكن الواجب حتم عليه أن يرشحني لهذه المهمة لأنه يعرف إني أستطيع كشف الأشباح، ربت على كتفه مبتسما لا أقو على الكلام من فرط القلق الذي اشعر به بداخلي؛ أخرجت سيجارة أشعلتها قبل أن أدخل و فتحت الباب. نظر لي شادي في حيرة و قلق فجلست على الكرسي و لم أنبس ببنت شفة فقط أدخن سيجارتي رافعا رجليَّ على المنضدة أنظر له في ثبات؛ نفثت آخر خيط دخان وأنا مازلت في سكوتي حتى نطق هو أخيرا :" لماذا أنا هنا؟" فأجبته :" أنت من يريد قول شيء لي؟ " " من المفترض أننا انتهينا من موضوع شبيهي هذا، لماذا تحتجزونني إذًا؟ " ابتسمت له و أنزلت رجلي من فوق المنضدة حتى صرت مقابلا له؛ نظرت خفية جانبي لم ألحظ أي شيء يدل على وجود النافذة - يا لهم من مبدعين! -؛ نظرت له مليا و أشرت له أن يصمت.

دخلت عقله، ردهة طويلة أتجول فيها، الأبواب على الجانبين متوازيين، دخلت أحد الأبواب على الصف الأيسر وجدته يجلس ينظر إلى الساعة في يده حتى دقت الثانية عشر

ظهرا فطلب الشيك من النادل دفع الفلوس و أخذ الفاتورة معه و خرج ليأخذ سيارته.

دخلت الباب الذي بجانبه لأحده مع زوجتــه في المســاء يحصون أموالهم و يرتبونها و يضعونها في حقيبة و نزل شــادي لمقابلة شخص أعطى له الحقيبة في يده و أخذ مكانها كــيس أسود.. لكن هذه المرأة اعرفها رأيتها من قبل!

دخلت الباب التالي على الصف الأيمــن رأيتــه في محــل مصوغات يسرق الماسات و بعض المشغولات الذهبية المميــزة لقد رأيت التعليقة التي في يده الآن في السلسلة علــى صــدر زوجته. دخلت الباب التالي رأيته في غرفة ودائع أحد البنــوك وموصدة من خلفه و هو يسرق الأموال و.. ظلام، ليس هناك ذكريات أخرى فالظلام في العقل هنا معنــاه أن هــذه كــل الذكريات وراء هذا الباب. لكني لا أفهم كيف ذلك لم يسرق قط و مبتعدا و هو الفعل؟!!

دخلت الباب الذي بجانبه، في المنطقة الخلفية لمحل مصوغات يقف أمام الخزينة و بجانبه زوجته يعطيها أغلب ما في الخزنة من مشغولة ذهبية لتضعها في شنطتها و تخرج، وقف يراقبها مــن خلال شاشة المراقبة تأخذ منديلا لتجفف يدها و اشترت حلقا و خرجت و.. ظلام آخر؛ خرجت من الباب و وقفــت في الردهة - ردهة عقله - لا أدري ما كل هذا!

باغته بسؤالي الذي لم يتوقعه قط :" أنت متزوج يا أســتاذ

شادي؟ " فرد بكل برود وقد بدا إنه سيفقده :" لا " فدخلت مرة أخرى بسرعة عقله لأرى بابا على اليسار مواربا دخلتـــه لأراه جالسا بجانب تلك المرأة ذاتها، أمامه مأذون و اثنان مـــن الشهود يوقعان على عقد زواج عرفي بينهما و أخـــذ ورقـــة الزواج و نقد الشاهدين نقودا و الكل راح لحال سبيله و بقيـــا هما الاثنان ينظران إلى بعضهما بكل حب و حنان و خرجـــت من هذا الباب لن أقف شاهدا على ليلة دخلتـــهما! بطاقتـــه والعقد مكتوب بهما " تامر سرور "؛ وقفت في الردهة أفكر ما هذا كله و كيف ذلك! و اتجهت نحو أول باب على اليـــسار دخلته لكن هذه المرة دخلت الباب المقابل له، إنـــه في أحـــد البنوك يسرق بطريقته الاستعراضية، نظرت إلى الساعة فرأيتها الثانية عشر نفس التوقيت الذي كان ينظر إليه في ساعته و هو في المقهى ثم غاب في الثانية و العشر دقائق خلف كاميرا المراقبة ثم ظلام؛ دخلت الباب الذي بجانبه لأراه في نفس اليوم الـــذي نزل فيه و معه الأموال في الحقيبة ينتظرون هما الاثنان في ترقب لكن نظرتها له بها خوف و قلق و فجأة كسر حاجز الـــصمت قائلا :" كل شيء تم بنجاح، أنا آت الآن " ثم ظلام. خرجت لكن هذه المرة من عقله و وقفت أو بمعنى أدق وثبـــت واقفـــا مبعدا الكرسي برجلي في عصبية و أشعلت سيجارة، ففتح فاه قائلا :" أتحاول أن تلعب معي لعبة الضغط على الأعـــصاب؟

تسكت فأتوتر و أبوح بكل شيء مثلما يحـــدث في الأفـــلام الهابطة؟ أو أنك محلل نفسي؟ " فقلت له :" أنا إنسان عـــادي لست بمحلل نفسي أو أي شيء من هذا القبيل فقط أنـــا مـــن يتولى التحقيق معك هذه المرة.. لحظة واحدة سآتي حـــالا "، أشرت لهم في الكاميرا أن يفتحوا الباب. نفثت دخان السيجارة قائلا لخالد :" ائتني حالا بإلكتريك (جهاز الصدمات الكهربية Electric Shock) " أتوني بواحد في الحال ودخلت مرة أخرى لأستاذ شادي – أو تامر – علمت فيما يفكر فقلت له: " ما تفكر به ليس حلا على الإطلاق " توجم و تبدل وجهـــه فرددت على تساؤلاته " يداك ترتعشان و بدأت تفقد السيطرة على أعصابك، من الممكن أن تقدم على أي شـــيء يجعلـــك متهما بدون اتهام " تنفس الصعداء فسحبت الكرسي وضـــعته خلفه، جَلَست و وقف هو و دخلت مرة أخيرة عقله لتتأكـــد ظنوني أو تخيب – لكن لا أظنها ستخيب –؛دخلت باب على اليسار مواربا، الألم جعله يفتحه بلا شك فعند وقوفه ارتطمت يده بالمنضدة، إنه يجلس في أحد الكافيهات يحتـــسي القهـــوة وفجأة ارتعشت يده عند ظهور نقاط حمراء على كم قميـــصه واشتد عليه الألم فسقط القدح من يده ليتهشم على الطاولـــة أمامه فنظر له و في لحظة مسك ذراعه كأن شظية من القـــدح المتكسر أصابت ذراعه أتاه نادل يسأله إن كان يريد أن يضمد

جرحه و يأتي له بقدح آخر لكنه صاح بـه " الـشيك لـو سمحت!"خرجت مسرعا من هذا الباب إلى الباب المقابل لـه، إنه هناك يسرق أحد المصارف يعبئ الأموال في جيوبه — هـذا الرجل دائما معه حقيبة أثناء سرقاته يخبئهـا خـارج نطـاق الكاميرا – و على غفلة منه جرح ذراعه في قطعة حديدية حادة بارزة من شباك الصرف فهبط على ركبتيـه ممـسكا ذراعـه والدنيا تظلم و تضيء من حولي كأن احدهم يعبـث بإضـاءة عقله! تمالك نفسه و وقف ينظف الدماء جيدا و انطلق خارج مجال الكاميرات و... ظلام آخر و أخير بالنسبة لي.

جالس على الكرسي أشرت له ناحية الباب قائلا :" لـيس لدينا عليك أو ضدك شيء، يمكنك الذهاب الآن " فنظر لي في تعجب و هَم بقول شيئا لكنه عدل عن رأيه و اتجه ناحية الباب – كأنه لا يريد أن يفوت تلك الفرصة الذهبية –. نظرت إلى تلك النافذة المزعومة أو الجدار الذي بجـانبي فرأيـت خالـد وطلعت و اللواء يتحركون في عشوائية يتأهبون لخروجه فنقلت لعقل خالد أن يثبتوا في أماكنهم فالقصة لم تنتهي بعد؛ هـذا الرجل يجعل مـواهبي تعمـل بنـشاط غـير مـسبوق أولا الEmpathy ثم الآن الClairvoyance!

فناديت :" تامر ! " وبحركة غريزية التفـت إلى الـوراء،

ابتسمت بملء فمي خدعة قديمة و بالية انطلت عليك يا شادي " إلى أين أنت ذاهب يا تامر؟ كيف تحب أن أناديك شـادي عبد السلام أم تامر سرور؟ " وقف الرجل متسمر مكانه يحاول إخفاء قلقه لكنه جهر به آخرا :"أ.. أ.. أنت ESPer؟؟!! " قالها و هو في حالة ذهول و غضب شـديدين، مما زاد مـن ابتسامتي عرضا، وقفت و هززت له رأسي بالإيجاب "هذا مـا لم أتوقعه في حياتي قط، أنت قرأت أفكـاري لـذا يجـب أن تدفع... " قبل أن ينهي جملته كان الكرسي الذي كنت أجلس عليه طار إلى الوراء و تهشم عند ارتطامه بالحـائط و قفـزت ناحيته ساحبا الإلكتريك من جيبي و صعقته به فخَـر علـى الأرض مكهربا و ورائي شادي آخر علـى الأرض مـصعوقا بالكهرباء – هذا الذي أطرت من يده الكرسي الـذي أراد أن يضربني به –، وقفت في المنتصف بينهم أشاهد اثنان من نفس الشخص ملقيان على الأرض يحاربان الكهرباء؛ عند دخـول الثلاث خالد و طلعت و اللواء صعقت شادي – نفس الـذي صعقته مسبقا – مرة أخرى فاختفى شادي الآخر و رقد هـذا الشادي في شبه غيبوبة و جسده ينتفض من الكهرباء.

" لوهلة شعرت إني في فـيلم مـاتريكس (Matrix)! " قلتها و أنا أتنفس الصعداء مشيرا إلى قفزتي، كان الذهول التام على وجه اللواء و فكه المتدلي أزاد من شدة ذهوله، على وجه

طلعت علامات رعب لا ذهول فلقد رأى أشياء ضـــئيلة مـــني وخالد يقف كأن الأمر طبيعيا لقد اعتاد أي شيء معي فلم تعد تثير ذهوله تلك الأشياء و الحق يقال إنها المرة الأولى لي أشـــهد مثل تلك القدرات، المرة الأولى الـــتي أشـــهد فيهـــا حالـــة Bilocation! صعقته مرة أخـــرى ليفقـــد الـــوعي تمامـــا وأخذوه من تلك الحجرة لا أدري إلى أين فنحن في أحد مباني أحد الأجهزة الأمنية الرفيعة.

بعد أن هدأ التوتر و زالت علامات التعجب مـــن علـــى الوجوه كنا ثلاثتنا – أنا و خالد و طلعت – في مكتب اللواء مرة أخرى و دخل آخر ليدون ما سأقول، :" كان يجـــب أن تشاهدوا و باكترات أكثر شرائط المراقبة، في مـــرتين عنـــدما سرق بنكين صباحا كان هناك وجه متواجد في المرتين وكـــان متواجد أيضًا في محل مصوغات إنها امرأة شابة كانت طبيعيـــة دائما عميلة في البنك و زبونة محل المصوغات دخلت لتغـــسل يدها و خرجت لتشتري حلقا و خرجت، لكن لماذا تواجدت في تلك الأوقات؟ عميلة طبيعية – جدا – نعم لكن تواجـــدت في وقت ثلاث سرقات هذا أمر مريب أليس كذلك؟ " أشـــار اللواء لطلعت بتشغيل شرائط المراقبة التي ذكرتها و أشرت إليها في الثلاث مرات،هذا الشعر الفاتح و الجمال الطاغي لا يمكـــن أن ينسوا لاسيما في شرائط مراقبة. " هدى جمال " قلتها و أنا

أنظر للمدوّن تأكيدا لأن يكتب الاسم صحيحا " هدى جمال
هذا اسمها من عقد الزواج بشادي و شقة الزوجية - التي هي
باسمها - تحتوي على غنائمهم و جميع المسروقات، عقد الزواج
كان ببطاقته المزورة بإسم تامر سرور"فسألني اللواء :" لكن
كيف تمت تلك السرقات و ماذا كان ما شهدناه؟ " هذا
السؤال الذي كنت انتظره، وقفت في منتصف الحجرة أجمع
أفكاري و نطقت أخيرًا :"هذا الرجل لديه موهبة
الBilocation أو الازدواجية المكانية أي يستطيع التواجد
في مكانين في وقت واحد و هذا بالطبع ما لن تستطيعون إثباته
للمجتمع؛ بحكم عمله و علاقاته الاجتماعية المتشعبة - الذي
بالطبع منهم مديري بنوك و صيارفة - فهو يعرف بالضبط
أماكن الكاميرات و خزائن الودائع و بما أن لديه زوجة فهي
بالطبع عميلة لدى محلات المصوغات و من السهل جدا أن
تعرف أماكن الخزائن لذا هو لديه ستة عيون هو و موهبته
وزوجته يمكن من خلالهم دراسة الأماكن، و التنفيذ يتركه
لقدرته يغير ملابسه خارج نطاق الكاميرات ينجز مهمته
ويرجع مرة أخرى خارج نطاق المراقبة و يختفي نصفه الآخر
ليرجع إليه و لم يكن الكشف عنه سيتم أبدًا فهو دائما بعيد
بأميال عن أماكن السرقات و لديه إثباتات دامغة و قاطعة "
دُون كل شيء في الكتاب و دُون مصير Bilocator في

الغيب الآن؛ فهممت للخروج حيث أنه لم يبق شـــيئا ليقـــال آخذا خالد معي لكن هناك ما تذكرته فعدت للواء قائلا :" لا أدري كيف يمكنكم سجنه فمن الممكن أن يخرج أو يرســـل نصفه الآخر خارجا و يتواجد في كل مكان و أي مكان؛ الألم الذي يسيطر على العقل هو ما يبقيه واحدا لذا أنصح بحبسه في مكان به مجال كهرومغناطيسي أو كهربي عال ليؤثر على عقله و لا يُمكنه من الذهاب إلى أي مكان بدلا مـــن الـــصدمات الكهربية " و تركت المكان و المبنى كله و اتجهت لمترل رالف لأستريح و اخلد إلى النوم بعد أحداث هذا اليوم المرهقة تلك.

• • • •

أبواب عقل شادي كادت أن تخدعني، الصف الأيسر مـــن الأبواب كان 'هو' و الأيمن كان نصفه الآخر كل باب المقابل له به الأحداث التي يفعلها الآخر في نفس الوقت.

لا أدري كيف اقنع تلك المرأة به أو اقتنعت هي به! عرفت سره و قبلته زوجا لها أيضًا، لكني استطع أن أجد إجابة واحدة - لا تقنعني شخصيا - و هي قوة الحب ففي نظراتها له كـــان هناك حب يفوق كل قصص الحب و الرومانسية؛ تزوجت من تامر سرور على ورق و عاشت مع شادي عبد السلام حياتهـــا الذي انتهى أمره بالسجن المؤبد و أمرها بالسجن أيضًا، عرفت

ذلك في اليوم التالي من الصحف و أنا جالس اقرأها في شـــرفة منزلي و أمامي البحر الذي ينقي روحي كلما أراه كل صباح.
ما يحيرني في الأمر هو هل كانت تعلم متى يكون هـــو و مـــتى يكون نصفه الآخر؟ و إذا كان نعم فكيف كانت تعرف؟!

***

القبض على أرسين لوبين

تم القبض على أرسين لوبين مساء أمس الأول و هو يسلم الأموال التي سرقها لأحد تجار تبييض الأموال في السوق السوداء، تم القبض عليه متلبسا أثناء تسليمه الأموال لتاجر السوق السوداء و الذي تبين إنه شادي عبد السلام جابر الذي يعمل مديرا لشركة (...) للمحاسبة و المراجعات المالية وبالكشف عليه تبين إنه مريض بالفصام في الشخصية ينتحل اسما آخر و هو تامر سرور سالم و قد تم إيداعه بمستشفى الأمراض النفسية و العقلية و قد حكم عليه بالسجن المؤبد و تم القبض على زوجته هـ. ج. و يتم التحقيق معها الآن و هي محتجزة على ذمة التحقيق. قام بالمداهمة الرائد (...) بأمر من اللواء (...).

صفحة الحوادث – جريدة الأخبار

***

سكتة قلبية

تحتل السكتة القلبية المركز الأول عالميا في أسباب الوفيات، هذا وفقا لتقارير منظمة الصحة العالمية الـWHO؛ و من المتوقع أن تحتكر هذه المرتبة حتى عام ٢٠٣٠ بناءا على آخر الحسابات الإحصائية التي أجرتها المنظمة.

تعريفها،هو توقف مفاجئ للقلب عن الخفقان مما يؤدي للوفاة. و هذا وفقا لموقع الويكيبيديا.

***

جمال السيد أحمد موظف حكومي عانى كثيرا حتى يتأهل للزواج من المرأة التي يحبها، لم يعرف إن كان يحبها أم لا لقد كانت جارته في البناية المقابلة، أعجب بها منذ الصغر و هذا ما ولد بداخله الحب تجاهها؛ عندما كبر و لم يجد وظيفة تدر عليه مالا كثيرا – كما كان يحلم – توسط له أحد أقاربه في تلك الوظيفة التي يعمل بها الآن في المصلحة الحكومية الذي هو أيضًا – قريبه – يعمل بها، لم يجد سبيلا آخر إلا أن يقبل بها بعد أن أضناه البحث عام كامل عن وظيفة بعد تخرجه تدر عليه دخلا جيدا كي يستطيع التقدم لطلب يد جارته التي أحبها منذ صغره؛ تلك الفتاة الرقيقة التي تصغره بأربع سنوات التي بدأت مظاهر الأنوثة تظهر عليها لتظهرها امرأة مكتملة الأنوثة مما جعل شباب كثيرين و رجال أيضًا يذهبون لخطبتها لكنها

ظلت ترفضهم جميعا، لا لأنها تحب جمال و لا تريد غيره ولكنها لا تفكر في الارتباط قبل أن تنهي دراستها الجامعية وبعد ذلك يأتي هذا الشاب جارها الذي - رغم عدم مصارحتهما لبعضهما بإعجابهما المتبادل - تقرأ في عينيه كتب الحب و الإعجاب الذين تشعر معهم إنها أنثى لها كيانها وليست سلعة يأتي الرجال لدارهم ليعاينوها و يتزوجون منها إذ أعجبتهم البضاعة.

تخرجت ابنة الجيران و بدأ العرسان يدقون بابها أكثر من المعتاد، في هذه الأثناء كان استلف جمال و أزاد على ما ادخره من فترة عمله كلها حتى الآن و مع الأموال التي ساعده أهله بها أيضًا و ابتاع شقة في منطقة أخرى؛ شقة صغيرة لكنها تفي للزواج و فَرَشها أيضًا؛ و أتى اليوم الموعود ذهب لخطبتها مع أهله فوافقت و وافق أهلها على مضض و بعد سنة و نصف تزوجا و قضيا شهر عسل ممتاز، لكن لتغطية المعيشة و الحياة الزوجية كان عليه أن يعمل في عمل آخر بجانب عمله الحكومي صباحا و هي كنساء كثيرات أصبحت سيدة مترل ومن المفهوم الأناني الذي يحتل عقول الكثيرات أن الزوج هو من عليه أن يعمل و يشقى و هي تستريح في المترل و تريحه هو، أما التعلم و الدراسة الجامعية إلى الجحيم فقط لتكون على نفس مستوى التعليم كمن ستتزوجه و ها هو ذا أتى إذن فلتأتي

الراحة و الأعمال المترلية و عملها كزوجة - في نظرها -. دام زواجهما خمس سنوات - حتى الآن - و لم يرزقا بطفل فكان هو عقيما هذا ما عرفه من الأطباء و قد أخفى عنـــها طـــوال حياتهما معا إنه مصاب بمرض نادر في القلب عجز الأطباء عن معرفته، ففي صغره عندما كان يشعر بضيق في التنفس فجأة إذا ما تعصب يفقد الوعي و كل الأطباء عجزوا أن يفهموا كنه مرضه فهو لا علاقة له بصدره إنما قلبه و لكن ما هـــي علتـــه بالضبط لم يعرف أحد، فقلبه معاف تماما إلا أنـــه لا ينـــبض بشكل طبيعي لكن عندما كبر تلاشى مرضه أو لم يعد ينغص عيشته مرة أخرى؛ حتى أتى مساء أحد الأيام في عمله المسائي - فهو يعمل كاشيرا في إحدى الهيبرات التي فتحـــت حـــديثا ومنذ عرفها مجتمعنا انتشرت به كالجراد - مسك في خناقـــه أحد العملاء لسبب تافه لا يستدعي هذه الجلبة الفارغة الـــتي افتعلها و قد كانت لتتطور بمشاجرة بالأيدي و لكن شعر جمال بوخزه في صدره و لم يقو على التنفس و سقط علـــى الأرض واضعا يده على صدره؛ في ذلك اليوم عرفت زوجته بسر قلبه العليل و مرضه النادر الذي عاود مجيئه بعد أن كان تركه زمن ليس بالقليل.

حياتهما معا تبدلت، زوج مريض، عقيم، غـــير متواجـــد بالمترل إلا قليلا بسبب عمله الدائم - ليوفر له و لزوجته حياة

كريمة – جعل الأمور غير مستقرة في مترل الزوجية و كثـــرت المشاجرات و شحن الجو بالانفعالات و لكن عم الصفو المترل مرة أخرى.

في أحد الأيام زوغ جمال من عمله الصباحي و ذهب سريعا ليبتاع بعض الورود و هدية فاليوم هو عيد زواجه مـــن ابنـــة الجيران و حضر لها تلك المفاجأة، فتح باب الشقة في هـــدوء وأغلقه دون إصدار صوت لكن صوت آخـــر لفـــت انتباهـــه صوت مفاجأته هو، صوت حرمه آت من غرفة نومهما صوت تغنج يصم أذانه و صوت آخر – يعرفه جيدا – فترك الورود الذي وضع بينهم هديته ليهوون و جرى إلى غرفة النوم ركل الباب فتهشم في الوقت التي خرجت منه الهدية من علبتها ليجد ما لم يتوقعه أبدا، زوجته في حضن زميله و صديقه الذي يعمل معه في عمله الصباحي؛ مر شريط ذكرياته معها و مع صديقه هذا الذي صادقه منذ أول يوم عمل بتلك المصلحة الحكوميـــة وذكريات حبه و شبابه الذي أفناه ليحظ بقلبها، مر كل شيء في رأسه كأنه فيلم يتم تسريعه. تملك الغضب منه أقصاه و لكنه ابتسم لهما ببرود قائلا :" أغلقتما الأبواب بالمفاتيح و تاركـــان النافذة مفتوحة على مصراعيها؟ " لم يعرف كيف استطاع قول ذلك في حالة غضبه تلك و الطعنة التي أخذها في قلبه و الـــتي يشعر بها جليا الآن تقطع قلبه و صدره و معها تنعدم الرؤيـــة

فبدوا و بدا كل شيء له خيالات، و الاثنان الصامتان المذعوران المذهولان يجلسان على السرير محاولين تغطية أجسادهما العارية بالأغطية و كاشفين خطيئتهم من النافذة! و... سقط على الأرض؛ سقط هذه المرة و لكن بلا حراك أو نبض أو تنفس.

***

في التاسعة مساء رن هاتف منزلي معلنا اسم خالد فأتاني صوته " هناك جريمة أخرى يا شريف أحتاج مساعدتك بها " " ألن تنتهي تلك الحوادث و الجرائم الغريبة أبدا! ابحثوا عن شخص لديه مثل مواهبي و جندوه للعمل معكم " إجابتي جاءت جافة لأنه قاطعني أثناء عملي على أحد تصميمات من أجل شركة كبرى فلقد اختاروني لأصمم لهم حملتهم الدعائية القادمة و آخر ميعاد لتسليم كل شيء جاهزا و كاملا بعد يومين فقال لي :" هذا ليس وقت تكاسل يا شريف، الرجل أوصل صديقه إلى المستشفى وكان متوفى بالفعل، الآن هو متوفي و صديقه مفقود! وافني على هذا العنوان بعد عشر دقائق " إنه يعرف جيدا كيف يجذب انتباهي، تركت الكمبيوتر مفتوحا على العمل و ذهبت لأبدل ملابسي و نزلت لآخذ سيارتي الجديدة التي اشتريتها بعد أحداث الكازينو في القاهرة

فالقديمة تم تخريبها من قبل رجال المدير و ثمن تصليحها كـــان فلكيا لذا بعتها على حالها و ابتعت تلك السيارة الجديدة.

وصلت إلى العنوان الذي أعطاني إياه خالـــد فرأيـــت في الشارع أناس كثيرين يتهامسون و يتساءلون حتى رآني خالـــد و أشار لي بالتقدم، رحب بي كما لو لم يراني منذ دهور فقلت له :" أتمنى في يوم من الأيام أن تطلبني لشيء غـــير الحـــوادث والجرائم " ابتسم و دخلنا شقة مفتوحة الأبواب لأرى امـــرأة عجوز تبكي واضعة كيس به ثلج على رأسها من المؤكد إنها أم القتيل، ذهبت لأسألها عما حدث فقالت :" ابني المسكين رجع إلى المترل مهموما فسألته ما به - لأني قلقت عليـــه كـــثيرا - فأجابني إنه أتى من المستشفى لتوه و فقد صديقه في العمـــل جمال و بعدها بساعات رن جرس الباب فذهبت لأفتح لأجد جمال بشحمه و لحمه واقف أمامي و ضربني بشيء ففقـــدت الوعي و لم أفق إلا على ابني هكذا؛ لماذا فعل شبح جمال هكذا بأعز أصدقاءه! " أنهكتني تلك المرأة لتقول جملتـــها بفواصـــل البكاء و البسملة و الحسبنة، فتركتها مـــا أن أنهـــت الجملـــة و اتجهت إلى موقع - غرفة - الجريمة؛ سألت خالد عن الضابط المسئول عن القضية فأقنعته أن يخلي الغرفة و أغلقـــت البـــاب جيدا خلفي و انحنيت لأرى الجثة جيدا، هنـــاك كـــدمات في وجهه و سكين مغروس في القلب و وضـــعت يـــدي علـــى الجرح...

القتيل لا يقو على الرد على من يـضربه ضـربا مبرحـا، وأخرج القاتل سكينا و حاول ذبحه فتفاداها لكنها أصابته بجرح في رقبته أخار قواه فاقترب منه صديقه احتضنه و غرس السكين في قلبه.

خرجت و شكرت الضابط - الذي لا يعرف علام أشكره - و سحبت خالد من يده قائلا :" إلى المستـشفى "؛ أمـام العربة وقف خالد ليسألني عن كل ما حدث " القتيل أصـيب بصدمة نفسية عند رؤيته لصديقه جعلته في حالة شلل و لم يقو على الدفاع عن نفسه رغم أن حجمه ضعف حجـم قاتلـه مرتين! و.. لقد تعاملت مع الـضابط بطـريقتي ". وصـلنا المستشفى و سئلنا عن الغرفة التي اختفت منها الجثة و الطبيب الذي باشر الأحداث و اتجهنا للغرفة لنجد كل شيء قد رتـب و وافنا الطبيب إلى مكاننا فسألته عما حدث و أجاب - بعـد رفض - :" وصلتنا الحالة متأخرة جدا لقد توفي الرجل بسكتة قلبية فأعلنت وفاته " فسأله خالد " ألم يكن هناك شيء مريب أو غريب بالجثة؟ " "حاول المـسعفون في طـريقهم إنعاشـه فاستجاب قليلا و وضعناه على ال ECG*** فكـان هنـاك

*** ECG: ElectroCardioGraphy

نبض خفيف لكن اختفى و فقدنا الرجـــل رغـــم المحـــاولات لإنعاشه و أعلننا الوفاة في الخامسة عصرا " " من أحـــضره؟ " كان هذا سؤالي، " زوجته و صديقه ثم أتى بعدهم أهله " قالها و هو ينظر للساعة في يده و قال كلمة أخيرة معلنا انشغاله :" اعتقدنا أنها حالة رجفان بطيني في بادئ الأمر لكن طبيبه المعالج الذي كان حاضرا نفى ذلك، لذا اعتقد أنها كانت حالة صمت قلبي لم تُلحق قبل فوات الأوان ظل قلبه يرجف و لا ينبض مما أدى لشلل وظيفي لخلايا عضلة القلب مما أدى للوفاة. لم يسبق لي أن رأيت أحد يمت و يصحو مرة أخرى! " شكرناه لتعاونه - رغم أن سلطة خالد ما جعلته يتحدث - و قلت لخالد أثناء ركوبي السيارة :" شددوا الحراسة على زوجته و ســيمكنكم القبض عليه و حينها سأستطيع معرفة كيف عاد من الموت! "؛ في طريقي رأيت إعلان الحملة الإعلانية السابقة للشركة - التي اعمل على حملتها الجديدة - فتناسيت القـــضية و فكـــرت في العمل.

أنهيت ما استطعت إنهائه من عملي المعلق و اتصلت بنـــادر لأسأله عن إمكانية أن يفلت أحد من السكتة القلبيـــة تلـــك فأجـــابني :" تقـــصد الCardiac Arrest أو ال Heart Attack؟ " " نعم هي ال...Cardiac هذه مـــا تحـــدث الطبيب عنها " " إن أعلنت الوفاة فهو قد مات فعلا و لا يمكن

أن يصحو مجددا، لا يمكن أن يتوقف القلب كلية و يظل أحـد صاح. لكن معك يمكن لأي شيء الحدوث يـا شـريف! " فتحدثنا عن القضية و أغلقنا لانتبه لجملته الأخـيرة؛ أحيانـا يشعرني الناس - الذين يعرفون عن مواهبي - إني كائن فضائي أو من بعد آخر! و تناسيت تلك الجملة التي شحنتني بالطاقـة مجددا فعدت للكمبيوتر و عملي.

في اليوم التالي قرأت الجريدة في شرفة منزلي؛ هناك خبر عن جثة مفقودة من أحد المستشفيات بالإسكندرية و تقارير عـن الإهمال و التسيب و تجارة الأعضاء أيضًا! غريبة تلك الجرائـد الصفراء لكنها ما تجد بها مثل تلك الوقائع الـتي لا تُنـشر في الجرائد الأخرى و لصحة القول يكون بعض هـذه الحـوادث مُفَبرك تماما و البعض الآخر صحيح تماما. نزلت مبكـرا هـذا اليوم لأعرج على خالد لمعرفة الجديد حول القضية " الآن تريد معرفة المزيد أيها المتكاسل؟ قالها ثم طلب لنا قهوة بالحليب - على غير العادة - و أكمل " لا جديد، فقط وجدوا ورقـة في الدولاب مكتوب عليها " حتى أنت يا بروطس " " قالها معطيا إياي صورة من تلك الورقة المكتوبة " بروتس، بالتاء " كـان هذا تعليقي السمج لكنه صحيح؛ الكثيرين منا يقولـون تلـك الجملة كناية عن الخيانة لكن الأكثر لا يعرفون من أين أتـت، بروتس القائد الروماني الذي أحبه قيصر روما 'يوليوس قيـصر' حتى أنه كان يعتبره أحد أبناءه من كثرة محبته له، يـوم كـان ذاهبا القيصر لمجلس الشيوخ و لقى حتفه علـى يـد تابعيـه

و قائدي جيشه أخذ كل واحد منهم بطعنه لكنه لم يهوى إلا عند رؤيته لبروتس بين الخائنين فقال جملته الشهيرة " حتى أنت يا بروتس، إذاً فليسقط قيصر " و غطى وجهه برداءه و طلقى طعنة الموت ممن أحبه و عامله كإبنه، ماركزس يونيوس بروتس (Marcus Junius Brutus). جمال هذا العائد من الموت انتقم من بروتس الذي خانه و لا أعرف لماذا، لكني سـأعرف عاجلاً و ليس آجلا يوم يقبض عليك يا يوليوس!

سمعت جلبة في مكان عملي و أتاني الساعي ليعلن لي عـن وجود زائرين فاتجهت لأجده خالد " ماذا جـد في الأمـر؟ " قلتها و أنا في حرج من مديري و قلق لقدوم خالد فقدومه لهنا يعني شيئا واحدا 'كارثة'، " أجازتك الماضية كانت بأوامر عليا و اليوم يشرفني وكيل نيابة، أتعمل عميل سـري؟ " " هـذا صديقي و العميل السري متواجد في الأفلام الأجنبية فقط غير إني لو عميل سري فكيف أقول لك إني عميـل سـري أيـن السرية إذن! " فقاطع خالد- متأففاً - الحديث بـيني و بـين المدير: " أعذرنا يجب أن نذهب فالمسألة خطيرة فعلا " ذهبت مع خالد و لم ينس مديري تذكرتي بعملي المعطـل. " قُتلـت الزوجة رغم الوقاية و الحراسة عليها " يتحدث خالـد اليـوم بانفعال لا أدري لماذا من المؤكد مشاكل العمل وتلك القـضية التي تشغله فنوعية خالد من محبي و عاشقي السلطة و النفـوذ ويبحثون عنها في كل مكان يجعلهم متطلعين إليها بكل الطرق و مع كل الجرائم شبه المستحيلة أو المستحيلة فعليا التي ساهم

في حلها خالد تضعه على حافة ترقية مؤكدة قادمة أنا متأكد من ذلك؛ دخلنا شقة المتوفي الحي لنجد الدولاب مفتوحا على مصراعيه و جثة زوجته على الأرض مطعونة في كل أنحاء جسدها و القلب أكثر ما أخذ من طعنات و السكين متروكة مرشوقة به. نظرت لأجد نفس الضابط الذي أخلى الغرفة دون أن يعلم سبب لأجعله يفعلها ثانية و بعد أن أفرغت الغرفة وقفت مبتسما أمام الجثة - لتخيلي رجال الشرطة ذهبوا لسؤال والدة جمال لتجيبهم أنه من المؤكد أن تلك الحربائة زوجته من قتلته على غرار المسلسلات العربية و الأفلام القديمة - و وضعت يدي على الجرح بجانب السكين المغروس في قلب تلك المرأة - الجثة -...

تفتح الزوجة الدولاب فترى زوجها بالداخل، ينقض عليها و هذه المرة الموت أتى أسرع طعنها كثيرا في كل مكان بجسدها و كان القلب الذي أخذ نصيب الأسد من الضربات و الطعنات.

بروتس و الزوجة ماتا إذن كانت الخيانة منهما مما يدحض أقوال الزوجة للشرطة بأن زوجها سقط عند دخوله المترل وكان صديقه خلفه حاملا بعض الأشياء لكن الآن تلك الزوجة ليست في عالمنا لأعرف الحقيقة كاملة لكني أستطيع تخيل ما حدث زوج ضعيف القلب شهد خيانة زوجته فانهار و الأطباء اخطئوا تقدير الحالة و أعلنوا الوفاة مبكرا. أخرجت المنديل

الذي استخدمته المرة الماضية لأمسح الدماء - فأنا غير معتاد على جثث حولها دماء! - و استوقفني هذا المشهد البليغ على المنديل لأجد نفسي كأني في دوامة حزن رهيبة تجثم على قلبي وروحي وتصحبني معها إلى القاع، أشعر بانهيار رهيب في مشاعري " شريف.. شريف! " نداءات خالد أفاقتني من هذه الأحاسيس الرهيبة التي تجتاحني، استعدت وعيي كلية ووجدتني خارج الغرفة أمامي خالد و الضابط أنظر حولي في كل مكان فأغمضت عيني و ركزت كل طاقات عقلي لأرى مصدر الأحاسيس السوداء هذه، حتى رأيته، أراه جيدا مصدر هذه الأحاسيس المظلمة و الداكنة فيّ إنه جمال، نعم هو رغم محاولته - الناجحة - في التخفي لكن العيون لا يمكن أن تخدعني؛ أين هذا المكان؟ انخرط خالد في الكلام مع الضابط و اختفيت أنا من المكان، صعدت إلى سطح البناية - فلقد رأيته على أحد الأسطح - و لم أجده بالطبع -، يحيط بي من الأربع جهات أسطح أيضًا لكن أنت على أيهم أيها الزومبي (Zombie[†††])؟ ركزت أكثر فرأيته على السطح على يساري إنها نفس الغرفة و المشهد الخارجي الذي رأيته؛ لا أريد

[†††] Zombie : لفظة تعني الموتى الأحياء، و دخلت في الكثير من الثقافات الغربية دلالة على الشخص الذي يأتمر بأمر شخص آخر، مسلوب الإرادة و الشخصية.

أن أنزل فأضيع الوقت و يهرب مني، مستوى هذه الأسطح واحد تقريبا و لا يبعدون عن بعضهم كثيرا و حل واحد أمامي، ماسورة المياه! تشبثت بها جيدا و انزلقت عليها حتى قاربت من السطح المراد و قفزت، ما هذا الخبال؟! حدث ما كنت أتوقعه، الآن أنا معلق لأني لم أقفز قفزة قوية و متشبث بالسور محاولا ألا أقع، من الغباء أن تعتقد أنك سوبر مان وواثق من نفسك لدرجة تقرب إلى الغرور! عافرت حتى لا أقع و استطعت أن أصعد على السطح و وقفت ألهث و أسمع دقات قلبي التي تحاول اللحاق ببعضها؛ الغريب إني في كل هذا أحدثت جلبة ألم يسمع هو كل ذلك؟ لقد تخيلت إني سأجد القاتل ينظر لي في شر و يفلت يديَّ لأقع جثة هامدة.

وقفت أمام باب تلك الغرفة مفتوحة الباب و بداخلها جمال الذي أزال ما كان يخفيه ليبقى مَن أمامي، هذا الرجل البائس الذي لا ينقطع بكاؤه و ظهر صوته فجأة من وسط الدموع المنهمرة :" الإعجاب وحده لا يصنع حبا و الزواج أيضًا لا يأتي به " فطمأنته :" أنا لست شرطي لكنك بتسليم نفسك سوف تنجو أو يخفف عنك الحكم فأنت دافعت عن شرفك "، هدأ بكاؤه قليلا و تمعن النظر في فترة و بدأ فيض من الحكايات عنه و عن زوجته حتى يوم اكتشف خيانة من أحبهم ثم قال : " أنا ميت رسميا على الورق و ميت بعدما حدث، بعدما خانتني من أحببتها - أو ظننت ذلك - و خانني من ائتمنته

على حياتي و منزلي؛ طعناني في قلبي فماتا كما أمـــاتوني " " إن حكيت قصة الخيانة تلك و أُثبتت فستخرج من تلك القضية " فرد في عصبية :" ألا تفهم؟! أنا لا وجود لي من الأساس، أنـــا متوفي رسميا و سأبقى هكذا سجين ذكرياتي و لا هويـــة لي "؛ حان الوقت لمعرفة سرك يا يوليوس قيصر لنفتح باب أســـرارك " لكن كيف عدت للحياة؟ " نظر لي مبتسما ابتسامة حزينـــة وقبل أن أدخل عقله فتح فمه و قال :" سأقول لـــك لأنـــه إذا عرفت و قلت لن يصدقك أحد " وقفت مذهولا من شـــجاعة غير متوقعة من هذا الرجل و استَمع باهتمام " قلبي ليس عليـــل البتة و أنا لست مريض بأي مرض نادر أو عادي لقد اكتشفت ذلك بنفسي " فقاطعته :" أتفهم في الطب؟ " فأكمل حديثـــه ساخرا مني " لا تحتاج طب، لقد كنت متخـــيلا إني محتـــاج للطب ليعالج علتي لكني أدركت عندما كبرت ماذا أنـــا قـــادر على فعله؛ أستطيع التحكم في ضربات قلبي " قال تلك الجملة الأخيرة مفتخرا و مزهوا بنفسه و كنت أنا الواقـــف مـــذهولا كمن لم يعرف شيئا عن القدرات و المواهب تلك أبدا لكـــن التحكم في ضربات القلب هذه لم أعهدها أو اقرأ عنها من قبل فقاطع أفكاري باستكمال حديثه :" عرفت كيف أتحكـــم في ضربات قلبي و كيف اجعلها تتوقف و تعمل مرة أخرى، لقد أنقذتني قدرتي تلك في تفادي الكثير من المشاكل و الخناقـــات المحتمة "، هدأ هذا المسكين قليلا لكـــن دموعـــه لم تكـــف. أحسست بحركة على سلم هذه البناية و عرفت أنه خالد يثب

الدرج لا يصعد فنظرت إلى جمال و تطلعت إلى هذا الكائن البائس المحطم و قلت له :" اذهب رجال الشرطة يصعدون.. اهرب! " قام من مجلسه و نظر لي في دهشة " إنهم قريبون جدا من السطح، انج بحياتك.. اذهب اهرب " وصل خالد شاهرا مسدسه نحو الرجل الذي يهرب " قف مكانك و إلا أطلقت عليك النار؛ قف يا جمال " أثناء جريه وقف و نظر لي نظرة مودة و عرفان خاطفة و انطلق بكل سرعته؛ " قف " قالها وهو يصوب المسدس نحو جمال، رفعت يده أثناء ضغطه الزناد فانطلقت الطلقة من مسدسه محدثة ثقب في سقف تلك الغرفة الخشبية التي نقف بها ' اذهب جد حياة جديدة، اهرب من حياتك الماضية و أشباحها ' تمتمت بتلك العبارة و لازالت يدي مرفوعة ترفع يد خالد التي تحمل المسدس و وجهت له الكلام و مازلت أنظر للفراغ أمامي كأني أتبع جمال هذا الذي غاب عن ناظرنا و اختفى. " دعه يذهب هذا المسكين " قلتها و أنا أنزل يدي و يد خالد الذي ينظر لي باحتقان " أطلق طلقة على الجدار أمامنا " و مازال محتفظا بنظرة الاحتقان تلك " نفذ لو سمحت " فأطلقها مع زفير غضبه ثم قال :" إنه قاتل! " " قتل لكنه بريء، قتل زوجته و صديقه اللذان طعناه في قلبه بخيانتهما له، لقد تأكدت من كل شيء بنفسي؛ ألم يثير شكوكك باب الغرفة المهشم؟ إذا كان قد تهشم اليوم لكان الجيران أبلغوا الشرطة فور سماعهم الجلبة " أنهيت جملتي عند صعود الضابط - الذي ينهكه التفكير في من أنا فالأمور تختلط

في عقله – و رجال الشرطة فأجبت الضابط على سؤاله الذي وجهه لخالد " لقد رماني القاتل على خالد فانطلقت رصاصة في السقف و لم يستطع أن يصيبه بالثانية و فر هاربا من هذه النافذة " فأشار الضابط للذين معه أن يتجهوا خلف القاتل حيث أشرت " أنتما سالمان؟ " فأجبته :" بعيدا عن الضرر النفسي لا شيء " و انطلق نازلا ليأخذ سيارة الشرطة و يذهب خلف القاتل؛ " لا تغضب مني فالرجل بريء بالفعل لقد دافع عن شرفه و كرامته لكن بطريقته الخاصة " و حكيت له قصة قلب جمال و قدرته على التحكم به حتى وصلنا إلى الشقة التي خف عنها تواجد رجال الشرطة و الخبراء و أشرت إلى باب الغرفة حيث توجد جثة الزوجة. هناك أحدهم ممسكا بشريط يضعه في جهاز الكاسيت " هذا الشريط وجد بجانب الجثة " قالها خالد، و انطلق صوت اعرفه من السماعات قائلا " تحتل السكتة القلبية المركز الأول عالميا في أسباب الوفيات، هذا وفقا لتقارير منظمة الصحة العالمية الWHO[‡‡‡]؛ و من المتوقع أن تحتكر هذه المرتبة حتى عام ٢٠٣٠ بناءا على آخر الحسابات الإحصائية التي أجرتها المنظمة.

تعريفها، هو توقف مفاجئ للقلب عن الخفقان مما يؤدي للوفاة. و هذا وفقا لموقع الويكيبيديا.

[‡‡‡] WHO: World Health Organization

..(فراغ)..

جمال. "

• • • •

غضب خالد حينا بعد تلك القضية لكنه ترك غضبه جانبا وعاد السلام بيننا؛ تأكدت خيانة الزوجة فلقد كانت حاملا في شهرها الثالث.

لقد تركت الموضوع لقلبي ليحدد في هذه القضية الشائكة وحددنا – أنا و قلبي – ما نراه صائبا و اخترنا الصحيح، فهذا الرجل ضائع بلا هوية بلا مستقبل و سُرق ماضيه منه أيضًا وطعنته الخيانة ليُترَك ليعيش و يبدأ صفحة جديدة.

جمال لديه أحد قدرات الPsychokinesis أو التسلط العقلي، إنها نفس الTelekinesis لدي والكثيرين يعتبرونهما مرادفان لكن الPsychokinesis (أو الPK كما يختصرونها) أعم و أشمل فهي ليست تطويع للمادة الملموسة فقط و لكنها تمتد لتطويع المادة الغير ملموسة أيضًا وبعض المواهب منها هي التي تستخدم في أفلام الخيال العلمي -و الخيال أيضًا - منها قدرات الPyrokinesis أو التحكم في النار و افتعال الحرائق ذهنيا و الElectokinesis أو التحكم في الكهرباء و تطويعها.

الزرنيخ

أفتح شرفة مترلي فتؤذي عيني تلك الأشعة البراقة الوهاجة و تنبئني بأنه علي أن أصحو، أحاول - في كل مرة - أن أغلق بوابة الضوء تلك و أذهب لأكمل نومي ولكن أجدني ألبي نداء هذا البحر المتلألئ و أفتح روحي لأستقبل نسيمه العليل؛ كعادتي أخذت بعد الصحف و المجلات لأقرأ فيهم بعض الشيء أثناء تناولي إفطاري و كوب الشاي الصباحي و علبة سجائري تنتظرني على الطاولة، كمصمم أو فنان عامة يجب عليَّ النظر دائما في المجلات و الصحف لأرى أعمال الآخرين وتعلم أشياء جديدة و رؤية أساليب مختلفة في التصميم و الرسم.

فتحت إحدى المجلات و هناك اسم شد انتباهي لسخريته إنها قصة تحمل اسم " الطعام به سم قاتل " على غرار المقولة الشهيرة من فيلم حياة أو موت (لعماد حمدي) " الدواء به سم قاتل " لكاتب اسمه أحمد بدر قد قرأت له بعض القصص في مجلات و صحف متفرقة.

***

بقلم: أحمد بدر

الطعام به سم قاتل

حفل زفاف كبير في إحدى قاعات فندق عريق بالإسكندرية حضره الكثير من الأقارب و المعارف و الأصدقاء و عدد لا بأس به من رجال رفيعي المستوى في الدولة، تجلس العروس بجانب عريسها الذي يصغرها بسنوات ليست بقليلة و التي جمعهما الإعجاب المتبادل و الاهتمامات و الصفات المشتركة؛ عاشا فترات كبيرة من السعادة و الوفاق و الحب و الغرام لكنهما لم ينسيا أساس زيجتهما، الإعجاب المتبادل الذي يتمثل في الأموال السريعة من طرفه و الزوج الشاب من طرفها، اهتمامالهما بجمع الأموال و إشعال غيرة و حقد الناس من سعادهما معا و من مستواهم الاجتماعي الرفيع و صفاقما المشتركة التي هي النقيض في كلاهما و هما البخل و البذخ، لكنه يختلف عنها في التبذير و الإسراف.

تذكر الزوج كل هذا و هو يدس السم الذي ابتاعه من عطار في إحدى الأحياء الشعبية في طعام زوجته، سم بلا لون أو طعم أو راحة مميزين. العُرس، الفرحة، الأيام السعيدة..... الأموال!

تعبت الزوجة في أحد الأيام فذهبت للطبيب تشتكي من ألم في بطنها فكشف عليها و طمأنها حيث أنها مريضة بمرض معوي بسيط و كتب روشتة ببعض الأدوية و المسكنات ابتاعتهم في طريقها إلى المترل فتحسنت صحتها و زال الألم لفترة و اعتقدت انها شفيت لكن هيهات.

راح الزوج الشاب في وضع سمه بجرعات صغيرة و ضئيلة جدا بانتظام في طعام زوجته يوما بعد الآخر، ظهر الإعياء الشديد عليها شعرت و كأن سكينا يقطع بطنها فأخذها زوجها الحنون إلى الطبيب ليكشف عليها و بعد الكشف عليها لم يجد إلا أعراض مرض غير قوي أو مؤثر في بطنها و طلب منها إجراء بعض التحاليل ليتأكد مما لديها و أجل موضوع التحليل لبضعة أيام حتى تتحسن قليلا بعد أن تأخذ أدويتها؛ بعد تلك الزيارة للطبيب عرف إنه عليه أن يزيد الجرعة في الأيام التالية حتى ينتهي منها قبل أن ينتهي أمره هو إذا تمت التحاليل.

ذهب في زيارة سريعة للعطار الذي يبتاع منه سمه هذا باحثا عن نوع معين، مسحوق قابل للذوبان في الماء و ينهي أمر زوجته خلال دقائق لا أيام و أسابيع و أشهر، ليضعه لها في الماء الذي تبتلع به الأدوية لكنه لم يجد مراده فابتاع كمية أكبر من نفس السم و ذهب للمترل؛ لن يجعل أي شيء يعترض طريقه،

يعترض تدفق الأموال، يعترض تخلصه من زوجته! العائلة كلها تعرف بأمر مرض الزوجة و زياراتها للدكتور و لكن في أحد الأيام توفت الزوجة، توفت بشكل طبيعي، أسلمت الروح إلى خالقها و تم دفنها و بكاها زوجها و بكت العائلات على روح الفقيدة لعدة أيام.

لم يكشف أبدا أمر الزوج القاتل و نجا بفعلته رغم سهولة التعرف على سمه هذا و لكن لاستخفاف الطبيب بمرض الزوجة و لاختلاط أعراض هذا السم التسممية مع أمراض معوية أخرى، ماتت تلك البائسة و راحت ضحية زوجها القاتل.

باللغة السريانية سمي زرنيقا و باليونانية أرسنيكون وبالفارسية و العربية "زرنيخ"!

***

إنها الثامنة و النصف موعد انتهاء الفيلم الجميل العذري فيلم الصباح الجديد و بدء الفيلم الآخر فيلم الحياة؛ أغلقت المجلة استعدادا للنزول و أخذ سيارتي و الاتجاه للعمل و لكن شيئا استوقفني، إنه العدد السابع العشر من المجلة و هذه المجلة تصدر منذ زمن إنه عدد شهر أغسطس ف... شهر أغسطس أيضًا! هذا العدد منذ ثلاث سنوات!! أغسطس، سم، قتل، ثلاث سنوات... سبتمبر! كل هذا يدور في عقلي في طريقي للعمل؛ ظللت طوال الطريق و اليوم شارد الذهن في عملي لا أفكر في

شيء غير تلك المجلة التي وقعت في يــدي بالــصدفة البحتــة والقصة التي قرأتها بها.

عرجت في المساء على منزل لم أزره منــذ دهــور، مــنزل عاهدت نفسي ألا أدخله مرة أخرى أو أزور من فيه؛ توقيــت صدور المجلة و القصة المنشورة أخذتني إلى بيت الحلوى الــذي دخلته منذ ثلاث سنوات تقريبا و خرجت مبتعدا عنه و نسيته – أو تناسيته – تماما لكني هنا أجلس أراقب المنزل و أركانــه الذي لم أراه منذ قبض على الوسيط – الفنان – هنا و غرفة – فرن – صهر المعادن و استمع إلى عمي الذي يــشكرني علــى إرشاده إلى البحث في الطريق الــصحيح و قــدم لي واجــب الضيافة المكون من عصير و مجموعة من الشيكولاتات الفاخرة المستوردين؛ لقد حكى لي والدي منذ زمن بعيد أن عمي وجد الأموال التي كان يبحث عنها في إحدى فيلاتهم في الــساحل الشمالي، و هذا ما كان يشكرني عليه. بدأ في حديث طويــل عن أمور الحياة و العتاب لأني لا اسأل عنه فقلت له :" أنــت من عيشته ارتاحت و لم تعد تأتي إلى القهاوي أو البحر اللذين كنا نتقابل بهم " فضحك كثيرا حتى دمعت عيناه فباغته بسؤال لم يتوقعه في حياته قط :" ماذا تعرف عن الــزرنيخ؟"فارتبــك و توتر كأني ذكرت له شبحا " لا أعرف عنه أكثر من إنه سم" " من أين أستطيع شراءه؟، قيل لي إنه فعال جدا مع الفئــران لكن أحدا لا يعرف أين يباع. تذكرت الآن لــذا ســألت " فأجاب " هذا ليس بسم فئران هذا ما أعرفه " و صمت برهة

ثم استكمل " مثلي مثل الباقون لا أعرف من أين يتم شراؤه ".

دخلت عقله، بيت الحلوى هذا، الذي دخلته منذ ثـــلاث سنوات فرأيت الباب مفتوحا دخلته لأرى ما رأيته من قبـــل، عمي يضع السم في طعام زوجته و يقدمه لهـــا بكـــل حـــب و مودة! و الباب الآخر الذي رأيته مواربا رأيته فيه عند العطار في دكان قديم متهالك يذهب خلفه داخل المخزن ينقب الرجل له عن شيء و يأتيه بمراده، غير أنه طلب منه "زرنيخ" بالحرف لكن تلك الزجاجة دليل دامـــغ مكتـــوب عليهـــا اختـــصاره الكيميائي (As).

وقفت قائلا :" منذ سنوات عاهدت نفسي ألا أتكلم معك أو أزورك مرة أخرى، يا محترم، لكني زرتك لأتأكد من شيء واحد جعلني أنفر منك من قبل و الآن يجعلني أكرهك "، ثـــار ثورة عارمة و طردني من منزله و كنت من الأساس أفتح الباب و أخرج و صفعت الباب خلفي.

في اليوم التالي ذهبت لخالد مستشيط غضبا و قلقا مما أنـــا مقدم عليه، لم أتخيل قط إني سأقع في هذا الموقـــف و المـــأزق، رغم إني أكره عمي هذا و فعلته لكنه أولا و آخرا عمي! " هل تذكر قضية الوسيط التي كشفناها في بيت عمي تلك؟ " قلتها و رشفت بعض الشاي و نفثت دخان سيجارتي في عـــصبية " بالطبع اذكرها لكن ماذا فكرك بها؟ لقد مر زمن عليها " قالها

في تعجب محملق في السقف كأن الأحداث تعرض عليه " أنـــا هنا اليوم بخصوص جريمة قتل وقعت قبل موضوع الوســيط " انتبه لما أقول و حرك رأسه إشارة بأن أكمل " يومها دخلـــت عقل عمي - المدلل هذا - و شاهدت أحداث الجريمة و هـــو يضع السم لزوجته في طعامها، فلم أعر الموضوع اهتماما فالمرأة قد توفت و دفنت و انتهى كل شيء؛ لكن بالصدفة البحتــة علمت من مصدر اسم السم المستخدم وعرفـــت أنـــه يمكـــن الكشف عنه حتى بعد تحلل الجثة تحلل كامل إذ يمكن الكشف عنه في العظام أو في التربة أسفل الجثة " فقال في جديـــة " مـــا تقوله خطير يا شريف، هذا يعد نبشا في القبـــور إذ لم تكـــن متأكدا مما تقول من الممكن أن يزج بك في السجن أو ستضطر لكشف مواهبك و لا تنسى أنك تتحدث عن عمك" " لا تقلق من ناحيتي أستطيع التعامل و الإفلات من أي شيء بـــدون أن يدري أحد أي شيء، لكن ما أقوله أنا متأكد منه فقط يجـــب عليك أن تعرف كيف ستحبُك قصتك لإقنـــاع المـــسئولين " ابتسم و قال في عملية :" هذا شغلي أنا " أعرف إنه يـــستطيع هذا الكائن السلطوي و لن يعيقه أو يتعذر عليه شيئا كهذا.

بعد أيام طرق رجال الشرطة باب عمـــي ليأخذونـــه إلى مصيره؛ لقد نفذ خالد وعده و صدق كلامه و فُتِح قبر زوجة عمي المتوفاة و تم الكشف عن وجود الزرنيخ بالفعل فأصدرت مذكرة بالقبض عليه و تم ذلك بالفعل.

لا أعرف ماذا فعل خالد و لا أريد دخول عقله أو سـؤاله لأعرف فقط نفذ ما قاله و هذا يكفيني و يكفيني إني زججت بعمي إلى براثن العقاب مما يجعل ضميري يؤنبني لكني أعـرف إني فعلت ما هو صائب، و الآن لا يشغلني إلا شيئا واحـدا.. شخصا واحدا...

***

أحمد بدر

يوم الأجازة سأقضيه في القاهرة هذا الأسبوع، لقد جعلت خالد يبحث لي عن عنوان هذا الكاتب المدعو أحمد بدر فمثل هذه الأشياء لا يستطيع أحد معرفتها لذا فمن الفوائد الكـثيرة التي تجعل من صداقته نافعة هي إنه يستطيع أن يأتيك بأي شيء تريده، قام بأبحاثه عن هذا الكاتب و أتـاني بـرقم تليفونـه و عنوانه؛ ما جعلني أتتبع هذا الرجل هي قصصه الكثيرة الـتي بدأت اقرأها بنهم و أسعى خلفها كلها قصص بوليسية وجدت أنها قضايا حدثت بالفعل بعد كتابته لقصصه كتلك القـضية بطلتها امرأة تخطف الأطفال و التي أتذكر إني قرأت نبأ القبض عليها منذ زمن و كانت قصته تحمل اسم "الجريمـة الكاملـة" و دواليك باقي القصص التي كتبها و بالطبع قصته عن "الطعام به سم قاتل" التي أعرف تماما و متأكد أنها كانت عن عمـي؛ إما هذا الرجل متنبئ أو متصل بأرواح!

وصلت إلى القاهرة في هذا اليوم الحار و لم أتصل برالـف فمهمتي محددة لكني اتصلت بنادر و قلت له أن يكلمـني في المساء ليطمئن عليَّ و لا أعرف لماذا فعلت ذلك! رغم مواهبي و قدراتي الذين يمكنوني من التصرف مع أي موقف لكن طبيعة القلق البشرية استحوذت عليَّ؛ سألت كثيرا حتى دُللت علـى

العنوان المراد، صعدت سلالم تلك العمارة القديمة في وسط البلد، و يا للمصادفة العجيبة هذه العمارة بجانب المحل التي أتتني منه Melinoe!

فتح لي الباب رجل في الأربعين من عمره، أصلع، يبدو عليه الدهشة من الواضح أنه لا يأتيه زوار أو أي أحد ليهتم بمترله الذي أراه من وراؤه مبهدل و مقلوب رأسا على عقب، دعاني للدخول بعد أن قلت له إني مهتم بكتاباته و أريد أن أجمعهم في كتاب؛ دخلت هذا المكان العجيب و لمحت أثناء دخولي غرفة مقلوبة تماما يبدو أنه لا يهتم بها البتة مليئة بقصاصات ورقية وجرائد و لكنه أخفي هذا المشهد الغير سار للغرباء بستارة أسدلها و أتاني بكوب شاي.

بعد فترة من الكلام الذي لا علاقة له بالموضوع الذي - من المفترض - أتيت له سألني :" و ماذا شدك في كتاباتي حتى تريد تجميعهم؟ " " لأن لها علاقة كبيرة بوقائع حدثت " ظهر على وجهه علامات استفهام و شكوك فسألني :" كيف ذلك؟ و ماذا تقول؟ " " لأن من الواضح كل القصص تحدثت عن جرائم حدثت بالفعل بعدما كتبت أنت قصصك " فوقف صائحا في عصبية :" هذا اتهام واضح و أنا لا أقبل ذلك "، ما هذا الغبي كأنه يعمل بضغطة زر! " لكنها الحقيقة، أنا لا أقول أنك شريك فالقصص و الجرائم تموا في مناطق و أماكن و مدن

بعيدة و متفرقة و هذا يرشح لي فكرة الPremonition "
فأجاب كطفل واثق :" أنا لست بمتنبئ أو أرى المستقبل أنـــا
مجرد كاتب قصص تصادف أنها حدثت بعد ذلك كما تقول،
الكوبي كات (Copycat[§§§]) - المقلدين - منتـــشرون! "
فوقفت صائحا في عصبية " لا يمكن أن يقتبس أحد قصـــصك
فلقد كانت تكتب أثناء حدوث الجـــرائم، و بـــسببك أنـــت
وطعامك الذي به سم قاتل سلمت عمي للشرطة فلا تجعلـــني
أعرف بطريقتي " هنا سمعت صوت سحب مطرقة مسدس من
خلفي فقلت في مرح :" هذا هو حسين إذًا " فأجاب حامـــل
المسدس :" لست حسين بل عادل " و كان سيهوى بمـــسدسه
على مؤخرة رأسي لكني جعلت المسدس يطير في الهـــواء " لا
أريد أن أثني لك هذه التحفة السلاحية الفريدة " و اســـتدرت
مكملا كلامي لهذا الرجل الأصلع عريض المنكـــبين مفتـــول
العضلات ذو الملامح الشرقية-أوروبية و لكنه لا يلبس الملابس
الكلاسيكية كما كتب عنـــه أحمـــد بـــدر " إنـــه ال Colt
Python و أنت حسين لقد وصفك وصفا دقيقا " أثنـــاء
تحدثي كان المسدس انتقل إلى يدي - إنها المـــرة الأولى الـــتي
أمسك بها مسدس -؛ و استدرت محدثا أحمد بدر لكنه باغتني
بسؤال غريب :" من أنت؟ " " شريف.. شريف رمزي لقـــد

[§§§] Copycat: و هو يعني تقليد مجرمين لجرائم حدثت من قبل و لاقت انتشار و رواج إعلامي من ثَم يقلدونها و بنفس الطريقة.

قلت ذلك قبل دخولي ".

أشار الكاتب إلى من وراءي إشارة خفية فقلت :" نعـــم لا تتدخل فمصيرك لن يكون سعيدا حينها " و وجهت كلامـــي لأحمد " الآن أظن أنك تفهم من أنا و ما أنا، أنـــت إنـــسان مثقف و لديك مثل مواهبي " تنهد و جلس على أحد الكراسي كأني فتحت عليه بوابة كان قد أغلقها فناولت حسين أو عادل أيا كان من هو مسدسه و جلست استمع لقصة هذا الكاتـــب " أنا لست بمتنبئ أو أرى المستقبل كما قلت لك من قبل، لقد تخرجت من الكلية و حاولت العمل بأي جريدة لكن أيا منهم لم يقبلني لأن ما أكتب فيه لا يشد القراء حسب قول رؤســاء تحرير هذه الصحف فلقد كنت أكتب و ابحـــث في التـــاريخ والعلوم، و لكني عرفت إني لست بصحفي أنا كاتب فعنـــدما بدأت أكتب القصص بدأت تنشر أعمالي " و هَلَ الـــصمت فصحت به :" هذه القصة التي تود أن تحكيها؟ هذا لـــيس مـــا أتيت لأسمعه " " سأعرف بنفسي " قلت تلك الجملة الأخيرة في عقله فتعجب وتبدل وجهه و كلامه " لا، لا داعي ســتعرف كل شيء "؛ و تحدث حسين :" لقد كنت حارس شخـــصي وترقيت إلى قاتل أجير لكني كنت اقرأ كثيرا، في يوم سقطت تحت يدي المجلة التي نشرت بها قصة الروليت و عرفـــت أنـــه يقصدني أنا رغم اختلاف الاسم لكن كنت أنا المقصود فعزمت

على التخلص من هذا الرجل؛ عندما أتيت لمنزلــه و هددتــه بالقتل كلامه أقنعني، بالفعل لقد أعطاهم كل شيء عني و كل معلومة تافهة حتى يستطيعون الإمساك بي لكنهم لا يستطيعون دخول عش تديره دبابير لا ذباب فلم و لــن يمــسكون بي ثم أطلعني على كل شيء و عاهدت نفسي أن أكون لهذا الرجل خادما و حاميا طالما حييت ".

أشار لي أحمد أن اتبعه إلى تلك الغرفة التي أخفاها بإسدال الستائر، غرفة - بالتأكيد - لا تصلح للعيش بها، غرفة مربعــة صغيرة بها مكتب صغير و كرسي و أباجورة فــوق المكتــب والحوائط كلها مغطاة بقصاصات من الجرائد و ورق مكتوب بخط اليد و رسومات و خرائط، هذا المكــان أشــبه بغرفــة عمليات لجهاز مخابرات! لحظة، هذه غرفة عملياته الخاصة؛ هذه القصص التي كتبها كل واحدة تشغل حيز كبير و بجانب كــل واحدة منهم أخبار نفس الجرائم قصاصات من كــل مكــان وكل جريدة و القضايا المنتهية يُعلم حولها، أنت لست بمتنبئ أو ترى المستقبل إذن ما أنت؟! وقف يتحسس بأناملــه مكتبــه الصغير في نهم و تعجب و حسرة و تكلم أخيرًا :" كل شيء بدأ معي في عامي الثاني في الكلية وجدت نفسي لأول مــرة أجلس ليلة امتحان ساهرا لا استذكر شيئا أو أدري ماذا كنت أفعل، فقط بعد ساعة و نصف وعيت إلى كل شيء وجــدتني كتبت خمس ورقات كاملين وجه و ظهر بالألمانية! صــعقت

واندهشت و ارتعبت رميت الورق في سلة المهملات بعـــد أن فتته من فرط الغضب و الرعب؛ بعد ذلـــك بيـــومين جالـــسا استذكر وجدتني مرة أخرى أمسك بالقلم و أخط على الورق أمامي أشياء لم أعي ما هي حتى فاتت نصف ساعة و أفقت إلى نفسي لأجده كلاما بالإنجليزية يحكي عن حقبـــة "جـــورج واشنطن"! لم أعرف شيء عن اللغة الأولى إلا طشاش و الثانية لا أجيدها لدرجة البراعة إني أكتب في تاريخها!

ظللت شهور تحدث لي تلك الظاهرة و لا أفهم ماذا أكتب أو كيف اكتبه فلقد كتبت أشياء كثيرة بلغات كثيرة حيـــة وميتة و عن أشياء لم اعرفها أو أفكر أن اعرفها، إلى أن بـــدأت البحث في كتب الظواهر الخارقة للطبيعة ففهمت و عرفت مـــا أنا قادر عليه ". " Autowriter! كاتب آلي تمسك بقلـــم وورقة و تبدأ الكتابة؛ لا يعرف و لم يعرف أحد سرها حـــتى الآن و يرجحون أنها أرواح من حقب و عصور زمنية أخرى تكتب على يد أحد المهيئين عقليا و نفسيا عن وقائع و أحداث لا يعرف كاتبها عنها شيئا " فرد على كلامي :" هذا ما عرفته عن نفسي بالفعل لكني بعد أن كنت امتهن الكتابة الآن امتهن التصليح و التجميل فمنذ خمس سنوات توقف كل شـــيء و لم أعد اكتب آليا – أو بلا وعي – و عدت أكتب بنفسي حتى بدأت أكتب قصص بوليسية و جرائم فاختلط علـــيَّ الأمـــر

و كأني لدي ازدواجية في الشخصية و في أحد الأيام قرأت في الصحف جريمة حدثت كما كتبتها و أخرى و أخرى ففهمت ماذا يحدث، تلك القصص التي اكتبها هي كرسائل إنذارية عن جرائم تحدث بالفعل و لا يمكن - كما قلت أنت - أن يكون اقتبسها أحد فوقوع الجرائم يكون متى اكتبها لا بعدها؛ حينها فهمت إني عدت Autowriter مرة أخرى و بمقدرتي ككاتب جملت ما أكتب بلا وعي و عدلت به و أضفيت عليه صيغا درامية و جعلتها قصص باتت تنشر في كل الصحف والمجلات الآن، و من له عينان للرؤية فليرى! "، وقفت أمام قصتان - عند انتهائه من حديثه - العلامات حولهما مختلفة عن الباقي فرد عادل قبل أن اسأل :" هاتان القصتان ما استطعنا تحديده و أنهيناهم بنفسنا، فأنا لست حارس شخصي و حامي للأستاذ فقط أنا أحاول التكفير عن أعمالي و أفعالي السابقة فاعمل بجد و جهد لكشف تلك الجرائم و لكن مازال أمامنا الكثير و الكثير و لم نستطع حل إلا قضيتان من المئات أمامنا! ".

وقفت أنظر لكل ما حولي من قصاصات و قصص و جرائد و مجلات و خرائط و جرائم حدثت بالفعل أو تحدث الآن ونحن واقفون هنا أو ستكتب في أي وقت؛ إنها لقصة طويلة تلك القصص أمامي على الحوائط فالجري وراء كل واحدة من

تلك القصص التي كتبت و التي ستكتب يحتاج طاقة و صـــبر وسعي كبير و المشكلة أن في كل هذا الثانية لا تعـــود ثانيـــة والسعي وراء تلك الجرائم كمطاردة سراب.

" و ماذا أنت قادر على فعله؟ " سألني عادل و عينان أحمد بدر تلمع بنفس السؤال.

" لدي مجموعة كبيرة نسبيا .E.S.P، Telekinesis، Psychomerty، ويـنــــــــدرج تحـــــــــت الE.S.P الTelepathy والEmpathy، و الClairvoyance؛ و أخيرا أبوابي إنها موهبتي المميـــزة و الـــتي أطلقـــت عليهـــا أبـــــــواب. و لكن رغم هذا كله أنـــا فقـــط و بـــساطة شريف، شريف رمزي ".